المحسن الفهمي

الدكتور سيف الدين اللاذقي

أستاذ العلوم اللغوية بجامعة الاسكندرية ومركز الدراسات العربية

1979

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت ص. س. 79
المنهج الوصفي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

فهذا بحث في المنهج، وهو أيضاً بحث عن منهج.

ومن أحوال ما تكون إلى البحث في المنهج وبخاصة عند ناحية العربية،
لأن هذا النحو - أولاً - له من التاريخ ما لا يعرف عن نحو آخر في لغة
من اللغات، ولأن هذا النحو - ثانياً - قد كثر فيه الحديث في السنوات
الأخيرة كثرة أدت إلى شيء من الاضطراب ولا تزال، حين يذهب
ذاهبون إلى التمسك بكل ما جاء فيه ورفض كل ما يقدمه المحدثون،
وجين يذهب آخرون إلى ترك جمل ما فيه والتوجه إلى الدرس الحديث.
على أن علم اللغة الحديث شهد تطوراً هائلاً منذ أوائل هذا القرن
وانتقلت أصوله فيما يعرف بالمنهج الوصفي، بحاول علمائنا
الذين اتصلوا بهذا المنهج أن يبحثوا النحو العربي بصرياً جديداً وأن يطوروه
على ضوء ما يصل إليه التقدم الإنساني في هذا المجال. غير أن هذا
المنهج الوصفي مالبث أن تغير تغييراً أساسياً في السنوات القليلة الماضية
حين عاد اللغويون إلى اعتبار العقل الإنساني مصدرًا ضرورياً من
مصادر الدرس اللغوي، وظهر منهج جديد لا يزال يتطور كل يوم،
وهو ما يعرف الآن بالمنهج التحويلي.
والذي لا شك فيه أن رفض "الجديد" من منطق الجهل به شيء لا يقبله علم. ولا تقبله الطبيعة الإنسانية، بل لم يقبله النحو العربي في تاريخه الطويل. من هنا كانت هذه المحاولة في هذا البحث؛ أن ننظر في أصول المنهج التحويلي عند العرب. ثم ننظر فيها على ضوء المناهج الحديثة. وقد وجدت مناسباً أن أعد للبحث بمهمة أعرض فيها "الملاح العام" الذي تأسس فيه النحو العربي، ثم أعرض فيه بباب (للمنهج الوصفي) من حيث موقعه من هذا النحو، مفرداً، فصلاً. كانت تقضية رأيت أنها لا تزال من أهم قضايا النحو العربي، وهي صلة بالمنهج الأرسطي. وجعلت الباب الثاني "للمنهج التحويلي" عرضته فيه لأصوله النظرية، ثم تطريصه في التحليل. ثم للجوانب التحويلية في النحو العربي.

وقد وجدت أن البحث في المنهج عند خلاة العربية يقتضي أن أركزه - في الأغلب الأعم - على المرحلة الباكرة من حياة النحو، وخاصة عند سبوعه وكبار النحاة الخلفيين، وعلى الاعتماد على النصوص اعتياداً كبيراً حتى لا تقع في أوهام الاستنتاج القائم على التعقيم. ومن هنا أيضاً كان الاعتماد على نصوص كثيرة عند أرسطو وعند اللغويين المحدثين.

على أن أدر أود أن ألفت إلى أنواد وجدت من الأفضل ألا أترجم هذه النصوص، وإنما أقدمها بنفسها غير العربي كما وردت في أولى مصادرها قدر ما استطعت، وقد أثرت ذلك لأسباب منها أن ترجمة هذه النصوص - وخاصة عند أرسطو - قد يضيف إليها شيئاً من التفسير، فضلاً عن أنني أخذتها عن نص مترجم، فتكون الترجمة العربية "حالة ثالثة للنص"، ومنها أنني أقدم هذا البحث لأهل الاختصاص والباحثين في الدرس اللغوي، وليست ترجمة النصوص شيئاً مفيداً لم يكن مكروراً، فضلاً عن أنهم قد يفهمون من النص الأصيل غير ما فهمت، وأن يرتبوا على ذلك استنتاجاً غير ما قدمت.
وإنه ليس أدعى حقاً أن أعترف بالفضل لعدد من أساتذتنا وأصدقائنا.
قدموه لي من عز، وأخص منهم الدكتور محمود فهمي زيدان.
الذين كان له فضل لا أنكره في الوقوف على نصوص أرسطو واستنراجها.
ولفسها، وفي الرجوع إلى آراء ديكارا وال فلاسفة العقليين، وأخص.
منهم أيضاً الدكتور محمد محمود السامرائي والدكتور مصطفى العبادي.
والدكتور أحمد غزال لما قدموه لي من إيضاحات قيمة عن بعض النصوص.
اليونانية القديمة.

وبعد، فعل هذا البحث أن يقطع باحثينا الناشئين أن الاتصال بالتراث.
من ناحية، والاتصال بالمفهوم الحديث في تطوره السريع من ناحية أخرى.
وجب علمي، وواجب فكري، لا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف.
ولعلنا من البحث في المنهج أن نصل بوماً إلى منهج علمي لدراسة العربية.

والله نسال أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

وبه وحده التوفيق.

عبد الرحمن
تحديث

ال نحو العربي و المناخ العام

لا يكاد الحديث عن نحو العربي وعن نشأته وتطوره يخلو من الحدث من المصادر التي اعتمدت عليها، والتي أخذ منها أصوله ومصطلحاته. والبحث عن المصادر مسألة علمي قريمة، غير أنه - في الأغلب الأعم - كان يقود إلى معالجة قضية «الأصالة» (1) و «التقليد» معabella نتفي وضع حدود فاصلة بين ما هو «أصيل» وما هو مأخوذ من أعمال الآخرين.

من هذا كله التقول عن هذا نحو: يراه بعضهم عرية«قد نبت عند العرب كما نبت الشجرة في أرضها» (2)، وأنه «أنهى العلوم العربية عروبة» (3). ويراه آخرون نافلاً عن الهنود أو اليونان أو السريان (4).

(1) انظر ما كتبه الدكتور على أبو المكارم تحت عنوان «أصولات الفكر النحوي».
(2) 105 في كتابه: تقوم الفكر النحوي - دار الثقافة بيروت.
(3) من معاصرات ليثمان - ضم النصرلمصر - مكتبة التهذيبة المصرية.
(4) صفحة الخامسة 2 / 249.


(4) تشير معظم الأبحاث الحديثة إلى هذا التأثير. انظر مثال كتاب الدكتور حسن...
(5) تحدى النحو وكتاب الدكتور أحمد محمد عمر: البحث اللغوي عنه الهنود...
(6) آخره عن نغمتين العرب - دار الثقافة بيروت 1972.
ويقرر قول كلام أن أوائل علم اللغة العربية ستبقى دائما محوطة بالغموض والطابع، لأنه لا يكاد ينكر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة يعين على تجربتها ومعرفتها. ومن ثم لا يمكن إصدار حكم قضائي مبني على مصادر ثابتة للحمس برأي في إمكان تأثر علماء اللغة الأولى بنماذج أجنبية... ورأى الذي يكرر دوماً عند علماء العرب، وهو أن علم النحو أُبتث من العقلية العربية المحضة، يغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجود أخرى من التأثير الأجنبي، لا من التواعد اللاتينية ولا من الهندية.

ووهما يكون من أمر فإن مسألة «الأصالة» و «عدم الأصالة» ليست من البحث «العلمي» بضبط وثيق. إذما هو المعيار لهذه أو تلك؟ أيه النشأة غير سبق؟ أيه التأثر من بعيد؟ أو من قريب؟ أيه المواجهة أم المخالفة؟ إن كل أولئك لا يفضي إلى شيء – في بحث نشأة العلوم وتطورها – إلا أن يكون شيئاً يغلب عليه الغموض والاعتقاس والهوش في بعض الأحيان.

ولا يكاد الحديث عن نشأة النحو العربي يخلو من الحديث عن الأسباب التي كانت وراء هذه النشأة، وتكاد كلها تركز في قضية اللحن الذي رآه القدماء خطراً على العربية وعلى القرآن الكريم.

(1) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي - ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - دار المعارف 1968، 2/126.
(2) إن أي أوفر هذا ما أشار إليه الدكتور عبد الحليم صبره أستاذ تاريخ العلوم جامحة هارفارد في محاورته العامة لمجلة الأسكندرية في نوفمبر 1976 عن العلوم العربية في فضارة الإسلام. من أن العلوم عند العرب لا ينبغي أن تبحث في سياق appropriation واهمها. وsexual.
وهو رأيٌّ له ما ينتمي من روايات التاريخ على ما فيها من تناقضات واصطباب. غير أنّ «اللحن» وحده لا يفسر نشأة النحو وحِصَّة على أول صورة وصل بها إلينا وأعني بها كتاب سيبويه. والأقرب عندي أن النحو - شأن العلوم الإسلامية الأخرى - نشأ «لفهم» القرآن.

والبنون شامس بين ممارسة «اللحن» وإدارة «الفهم»، لأن اللحن ما كان يرمي في هذا «اللفهم» إلى ما أضفي عليه في هذه المرحلة الباكرَة من حياته، بل لعله كان حقاً أن يقتصر على وضع ضوابط الصحة واحترامه في كلام العرب. أما «الفهم» فإنه يقتصر على البحث عن كل ما ينفع في استناد النص وفي معرفة ما يؤدى التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بينام. ومن هنا كان هذا النشاط النحوي القديم على الوجه الذي نعرفه من كثرة علمائه وتفرع مذاهب ووفرة مادته.

ومن هنا أيضاً كان تعظيم العرب لهذا العلم وأهله حتى ليسعون كتاب سيبويه «الكتاب» أو يصفونه بأنه «قرآن النحو».

ويبدو أن ارتباط الدرس اللغوي بالكتاب المقدسة كان أمرًا قديماً، أو هو أمر يرجع إلى طبيعة الأشياء، فقد عرف عن النحو الهندي أنه نشأ في خدمة الفيدا، وأنه اكتسب من الدين قداسته واحترامه. وتذكر الروايات قولهم «إنه الماء هو أقداس شيء على الأرض، والكتب المقدسة أكثر قداسة من الماء، ولكن النحو أكثر قداسة من الكتب المقدسة» (1).

(1) الدكتور أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهندوس ص ٧٣.
على أن البحث في المنهج لا يقتضي أن نسأل: لم ننشأ النحو العربي؟
بقدر ما يفرض علينا أن نسأل: كيف ننشأ هذا النحو؟ ذلك أن السبب
وحده قد يفيد في معرفة الخطوات الأولى للنشأة لكنه لا يكفي في فهم
استواء المنهج وحركة التطور.

ولعل أسرع فأقول إن النحو العربي نشأ وتطور في "مناخ" إسلامي
عام، وأنه ظل يتنفس جوه حتى استوت له وسائله ومناهجه. وأقول
إنه "مناخ" إسلامي "عام" دون أن أصفه بأن مناخ (خالص أو محدود)
حتى لا نسق في شرока الأصالة والتقليد.

ولعل أسرع أيضاً فأقول إن هذا المناخ الإسلامي العام هو الذي
أنتج (علوماً إسلامية) شاركت في النشأة وساهمت في أسباب التطور
وفي وجهة التأثير والتآثر. وأحسب أن وضع النحو العربي في هذا السياق
يعين على فهم الأسس التي صدر منها أصحابه في رسم منهجه على وجه
الخصوص.

وأول ما يلقانا من هذه العلوم (القراءات القرآنية) فقد كانت
قراءة القرآن أول ما اهتم به المسلمون، ووضعت أصول القراءة في
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة "الثنقي" و"العريض"، واستمرت
تعتمد عليها حتى عرفت عبارة (القراءات السبع) على رأس المائتين (1)

(1) انظر كتابنا: "الهجرات العربية في القراءات القرآنية" دار المعارف 1968 ص 72.
ورحى كتب ابن مjahed كتاب (السبعة) على رأس المائة الثالثة (1)
وظل الأصل في القراءة هو (الأخذ بالأنثى في الأثر والأصح في النقل، وليس الأفشى في اللغة والأقيس في العربية) (2) كما استقر ضابط القراءات الصحيحة على ثلاثة شروط لا يتخلف منها واحد: أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه، وأن تكون مواجهة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وأن يصح سندها عن الرسول ﷺ (3).

ومنذ البداية اشتهر النحاة بالقراءة، فقد كان أبو الأسود قابثاً، وكان عيسى بن عمر الثقفي (149 ه) أحد قراء البصرة، وهو الذي روى عنه أنه أول من ألف في النحو كتابي (الجامع) وإلى المكمل (4) أما أبو عمرو ابن العلاء (154 ه)، والكسائي (189 ه) فهما من القراء السبعة.

ولعلنا لا نقع في مغالبة حين نقرر أن (القراءات القرآنية) كانت من أهم علوم المسلمين، لأنها أوثقها اتصالاً بالنص القرآني، وألَّا أنَّها هي التي أصلت منهج التشكيل اللغوي بما أصلت من الاعتماد على الرواية ليس غير، ثم إنِّها ثالثاً وضعت منهجاً في نقد الرواية يغزق منهج المحدثين.

القراءات القرآنية علم نقي لا يعرف التعليل ولا الفلسفة ولا المنطق.
إنها علم غير عقلي على وجه العلوم.

(1) أبو بكر بن مjahed: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور محمد ضييف، دار المعارف، 1972.
(2) ابن الجوزي: الشريعة في القراءات العشر - المكتبة التجارية، ص 11/1.
(3) السابق: ص 1/9.
(4) ابن الندين: التفهيم، المكتبة التجارية، ص 28.
و "التفسير" أقرب العلوم الإسلامية إلى "القراءات"، لأن أفضل التفسير عندهم أن يفسر "القرآن بالقرآن". ثم إنه بدأ مراحله الأولى جزءًا من "الحديث" عند يزيد بن هارون السلمي (117 هـ) وشعيب بن الحجاج (160 هـ) ووكيع بن الجراح (197 هـ) وسناني بن عينية (198 هـ) قبل أن يصير علمًا مستقلاً عند ابن جرير الطبري (210 هـ).

وإذا كان التفسير في بدايةه قد عرف بالتفسير الآثór تأكيدًا لمعنى الرواية والاعتماد على النقل وخصوصًا أن "لا يقول في القرآن برأي" فإن ذلك كان يستند أولًا إلى فهم العربية ومعرفة طرائق استعمالها، والروايات تشير في مسائل "ابن الأزرقي" وأوجبة "ابن عباس" عنها إلى استشهاد ابن عباس - باللغة في تفسير القرآن، فهي تذكر أن نافع بن الأزرقي ونجلة بن عويمر فاما إلى ابن عباس وقالا له (1): "إذا ريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ففسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب... فإن الله تعالى إما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاليف عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين)، قال: "العروز"، قال: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبد بن الأبرص وهو يقول:"

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره "عزينا".

ومهما يكن من أمر فقد كان "التفسير" في مراحله الأولى - وهي مراحل نشأة النحو - يعتمد على الرواية والنقل، أي أنه - كالقراءات - كان غير عقلي على وجه العلامة.

(1) السيوطي: الإتقان 1 / 121

14
ولم تكون البلاعة بعيدة عن هذا الجو الإسلامي العام. كانت القراءات تتقصد إلى ضبط أداء النص القرآني. وكان التفسير يهدف إلى فهم معناؤه ومعرفة أحكامه. ثم كانت البلاعة لدرس أوجه الاعجاز في عِلِم وجه الخصوص.

على أن أهم ما يميز المنهج الإسلامي علماء أصول الفقه، وعلم الكلام.

أما أصول الفقه فإنه القراعات التي يتوصل بها إلى أحكام الشرعية من الأدلة وهو بهذا يمثل منهج البحث عند التلفيق. وقد ظهرت المحاولات الأولى في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وهناك روايات ترجع إلى ابن عباس فكرة الخص والعالم، على أن الفترة التي نحن هنا هي فترة الأئمة الأربعة، أي حنفية (150 هـ)، ومالك (179 هـ)، والشافعي (204 هـ)، وابن حنبل (241 هـ).

ويجمع مؤرخ علم الأصول على أن المنهج في صورته الأساسية ظهر عند الإمام الشافعي، والهمه هنا أن الأصول الأربعة - القرآن والسنة والإجماع والقياس - كما استقرت في المنهج إما تضيف العقل إلى النقل وهو عقل إسلامي يستبعد الباحثون تأثره بعوامل خارجية.

ثم نأتي إلى علم الكلام الذين يعتبرون عنه بأنه علم يتضمن الحجاج.

(1) الدكتور علي سالم النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام - دار المعارف 1961، ص 65-68.
عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية(1) لذرى اتصاله القديم بالقرآن، بل إن قضية «خلق القرآن» باعتباره «كلام الله» قد تكون سبباً في تعميمه علم الكلام (2) . والحق أن صبغ «الكلام» بالعقل يرجع إلى المعترض على وجه الخصوص، وقد كان ذلك في الفترة التي نورخ فيها للمنهج النحوي، ففي البصرة كان واصلاً بين عطاء (131 هـ)، وعمرو ابن عبيد (144 هـ). وأبو الحذيل العلاف (226 هـ)، وفي بغداد كان بشر بن المعتمر (219 هـ) وثامامة بن الأشرس (234 هـ).

كانت القراءات إذن تعتمد على «النقل»، وكان الكلام الاعتزالي يقوم على «العقل»، وكان «أصول القفة» يجمع بين العقل والنقل. ونشأت هذه العلوم كلها من أجل فهم النص القرآني أداة، وتركياً، وإعجازاً، وأحكاماً. وتطورت كلها في هذا الجو الإسلامي العام تبادل الدائر والتأثير.

اختلطت البلاغة بالنحو في كتاب سببوه، واختلطت به في «معاني القرآن» للقراء، بل إن نظرية عبد الثأر في النظير بيني على فهمه للتركيب النحوي. وكانبته حافلة بالنصوص التي يلح فيها على هذه الأفكار. فهو يؤكد أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها. وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون المستخرج لها وأنه المعيار الذي لا يبين نقصان كلام ورحلة حتى يعرض عليه.

(1) ابن خلدون، المقدمة - المكتبة التجارية - ص 404.
(2) انظر ما كتبه الدكتور أحمد محمود صبح في كتابه، في علم الكلام - دار الكتب الجامعية - الطبعة الثانية 1976 ص 135.
والقياس الذي لا يعرف صحيح من سقين حتى يرجع إليه (1). وهو يقول: "أعلم أن ليس النظام إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نبذت فلا تزعم عنها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يتبغيه الناظم بنظام غير أن ينظر في وجه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجه الذي تراها في قولك: زبيد منطلق، وزيد ينقل، ونطلق زيد، ومنطلق زيده، وزيد منطلق، والمنطلق زيده، وزيد هو المنطلق، وزيد هو ينقل. وفي الشرط والجزء إلى الوجه الذي تراها في قولك: إن خرجت أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن خرجت خرجت، وإن خرجت خرجت. وإن خرجت خرجت... (2)

وتآثارت البلاغة بالكلام على ما نعرف من صحية بشر بن المعتمر (3)، أما إعجاز القرآن فيكفي أن نشير هنا إلى كتاب الباقلافي (4)، وكتاب القاضي عبد الجبار (5).

أما النحو فإن صلته أوثق ما تكون بعلم الكلام والأصول، أي أن هذه العلوم الثلاثة كانت أكثر العلماء تبادلاً للتأثير والتأثير. وقد ظهرت التأثيرات الكلامية في النحو في فترة مبكرة عند سيبويه، فهو يقول مثلاً: "وأعلم أن الشيء يوصف بالشيء، الذي هو هو، وهو من

---

(1) عبد القاهر الجزائري: دلائل الإعجاز - مطبعة المنار 1331 هـ ص 23
(2) المصدر السابق ص 34، وانظر تحليل الدكتور شوق ضيف: البلاغة نظر وتاريخ ص 168 وما بعدها
(3) الجاحظ: البيان والنبين 1/ 135
(4) الباقلافي: إعجاز القرآن تحقيق النسيج أحمد صغير - دار المعارف
(5) القاضي عبد الجبار. المحيى. 11/ إعجاز القرآن. تحقيق أمين الخولي. وزارة الثقافة

النحو العربي - 2
تميّذية أبي يوسف محمدًا، ويروي أبو جعفر الطبري أن أبا عمر الجرمي قال: أنا مَنْ ثلاثون أَميِن الناس في الفقه من كتاب سبيوه. قال: حديثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والإنكار، فقال: أنا سمعت الجرمي يقول هذا، وأومأ يديه إلى أذنيه. وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث فلما علم كتاب سبيوه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سبيوه يتعلم منه النظر والتفتيش.

وسنذكر ابن جني أن كتب محمد بن الحسن رحمه الله إنه

(1) سبيوه: الكتاب 1 / 276
(2) الزجاجي (أبو القاسم) : الإيضاح في علل النحو - تحقيق مازن المبارك - دار المروية - القاهرة 1959 - ص 67
(3) بيترت 12 / 5
ينتشر أصحابنا منها العلل (1). بل إنه ألف كتابه الخصائص على
طريقة الأصوليين (2).

ويعد فين بابا عن "علل العربية أكلامية هي أم فقهية" يقول فيه:
وهعلم أن علل النحوين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين. لا ألقاهم
المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفرقين.
وذلك أنهم إذا خيلون على الحس. ويجرون فيه بثقل الحال أو خفتها
على النفس، وليس كذلك حدث علل الفقه (3). وقد كان التأليف
في الخلاف بين النحاة "على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي
حنيفة (4).

... ...

كان هذا هو الجو العام الذي نشأ فيه النحو وتطور، كما نشأت
العلوم الأخرى وتطورت. أمده الفراءات بالنقل والاعتماد على الرواية،
وأمدته الأصول والكلام بالطبع العقلي الذي جمه لا يتوقف عند
ظواهر اللغة توقف الوصف المباشر، وإما يتجاوز إلى تفسير هذه الظواهر
تفسيرا أعلايا يوصله إلى القوانين المطردة التي يرونها فيما وراء الاستعمال
اللغوي. وخلاصة القول أن المنهج النحوي لم يكن نقلا محضا ولم

---
(1) ابن جن : الخصائص تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب - 1954 - 1162
(2) السابق 2 / 48
(3) السابق 1 / 18
(4) الآتاري : الإنصاف في مسائل الخلاف - تحقيق محمد علي الدين عبد الحميد
مطبعة الاستقامة 1945

19
يكن عقلاً مخّضاً. من هنا كانت دعوتنا إلى تمس مصادر هذا المنهج في "داخل البيئة الإسلامية"، وليس في "خارجها"، أما قضية الفكر اليوناني والمنطق الأرسطي فسوف نعرض لها في موضعها من البحث.

إن شاء الله.

(1) انظر كتابنا: فقه اللغة في الكتيب العربي - دار النهضة العربية - بيروت.

1962 ص 23 وما بعدها.

20
الباب الأول

ال نحو الوصفي
الفصل الأول

ال نحو الوصفي: النشأة والمنهج

ال نحو الوصفي «فرع من علوم اللغة» الحديث الذي ظهر أوائل هذا القرن وأخذ يتأصل ويتطور تطوراً سريعاً جدًا في السنوات الأخيرة. واستعمال الوصفي مصطلحاً في الدرس اللغوي فإما كان نتيجة للمنهج التاريخي الذي وجه أعمال اللغويين الأوروبيين حتى أواخر القرن الماضي، فمنذ أعلن السير وليم جونز Sir W. Jones السنكريبية عام 1786 م أخذت دراسة اللغة تسلك سبيل التأريخ والمقارنة على ما نعرف من المنهج الذي ساد هذه الدراسة طوال القرن التاسع عشر وبخصوص لدى المدرسة الألمانية(1).

نعم، لقد كانت السنكريبية أساس البحث اللغوي، وكان دارس اللغة يلجأ في شرحه لأيّة ظاهرة لغوية أوروبية إلى السنكريبية "إن السنكريبية هي الأساس الوحيد للفقه اللغة المقارن، وسوف تتبنى المرشد الوحيد الصحيح لهذا العلم، وعالم فقه اللغة المقارن الذي لا يعرف السنكريبية شأنه

(1) فصلنا الحديث عن (الفيثولوجيا) في القرن التاسع عشر في كتابنا: فقه اللغة

في الكتب العربية - ص 9 - 19

24
وشأن عالم الفلك الذي لا يعرف الرياضيات. غير أن سيادة هذا المنهج قد لفتت بعض اللغويين الخلفين إلى نقده وتجربته نظرًا عن شيء جديد، فيقول إليس: "في أيامنا هذه جاء كشف السنسرتية، وبدأ فقه اللغة، ولكنه للأسف - بدأ من النهاية غير الصحيحة، وذلك أن البدء بالسنسرتية كان كأنه وصل لظواهر الحياة بشيء ميت، كما أنه من الخطأ بدء دراسة علم الحيوان بدراسة علم الخفريات، أي دراسة علاقات الحياة بعظام الموتى" (1).

ومهما يكن من أمر فقد شهدت دراسة اللغة أوائل القرن العشرين تحولاً أساسياً، وبدأ "علم اللغة" الحديث. ونحن هنا معنون ببحث المنهج الذي وجه "النحو" في هذا "العلم". ولقد نرى أن ذلك يقتضي أن نتوقف عند ثلاثة من مؤسسات "علم اللغة" ممن كانت لهم آثار بالغة في ارتباط طرائفه وتحديد أصوله وتوجيهه هذه الوجهة التي تعرفها الآن.

وهؤلاء الثلاثة هم:

1 - العالم السوسيري فردينان دى سوسير
2 - العالم الأمريكي إدوارد سباير
3 - العالم الأمريكي ليونارد بلومنفيلد

دي سوسير والمنهج الوصفي:

أما دى سوسير فهو مؤسس "علم اللغة الحديث دون نزاع"، وهو صاحب فكرة "المنهج الوصفي" كما سيظهر من هذا العرض.


ألف أول أعماله:

Mémoire sur le Système Primitif des Voyelles dans les Langues Indo-Européennes.

ولقد لفت إليه هذا الكتاب أنظار الباحثين، وأخذ يحتل منذ ذلك مرتكزاً ملحوظاً في التدريس اللغوي. ثم سافر إلى باريس حيث شارك Société Linguistique في الجمعية اللغوية، وقبل ذلك انتقل إلى جامعة جنيف حيث حاضر عن "النحو المقارن" أولاً، ثم عن "علم اللغة العام".

وهين توفي 1913 لم يكن قد نشر كتابه "محاضرات في علم اللغة العام".

Cours de Linguistique générale.

فقد جمعه بعض تلاميذه بعد وفاته بملاحظة المذكرات التي كانوا يكتوبونها عنه أثناء إلقائه هذه المحاضرات.

ويتبث الدارسون على أن هذا الكتاب هو أهم عمل بدأ تحديد

الأساس التي صدر عنها علم اللغة الحديث (1).

ووضوح من هذه الترجمة الموجزة لدى سوسيال أن نشأ في فترة ازدهاردراسة الفيروكلوجية التي كانت تركز على البحث التاريخي للظواهر اللغوية، وأنه شارك في هذا البحث تحصيلًا وتأليفًا وتدريسًا، غير أنه كان قد أخذ يضيق بقصر الدرس اللغوي على الواجهة التاريخية، ولكنه لم يكن قد وجد ما يبحث عنه إلا حين اتصل بما قدمه معاصره عالم الاجتماع إميل دور كام (1858-1917) Emile Durkheim، فعلى ضوء آرائه في بحث الظواهر الاجتماعية قدم دي سوسيال نظرية
في بحث الظواهر اللغوية.

والذي شد اهتمام دي سوسيال أن دور كام كان قد أخذ يحدد things الوقائع الاجتماعية » Social Facts« بالاعتبار أنها «أشياء» تشبه»الأشياء» التي تدرس في العلوم الطبيعية. وأنه قرر أن هذه الوقائع الاجتماعية ذات طبيعة «عامة»، أي أنها ليست»فردية«، و»الشيء« عندنا ينتمي كل موضوعات المعرفة التي لا يمكن إدراكها بالنشاط العقلي الداخلي ولكن بما تقتضيه من الخبرة والملاحظة والتجربة، وقد أشار دور كام نفسه إلى أن »اللغة« يمكن اعتبارها »شيئًا« وهي ليست»فردية«، ولكنها عامة (1).

ولقد كان لدور كام تأثيره البالغ على فكر دي سوسيال، وعله كان السبب في تحويل الدرس اللغوي إلى الأتجاه العلمي، ذلك أن اعتبار

(1) كل ما يتضمن بالراء دي سوسيال في هذا البحث نرجع فيه إلى النسخة الإنجليزية
اللغة "شيئًا" عامًا - شأن "الوقائع الاجتماعية" الأخرى هو الذي يسر سبيل إلى تضييق قواعد "العلم" في دراسة النظر. بدأ د. سوسير منهجه بتحديد ثلاثة مصطلحات تتعلق بالكلام الإنساني:

la parole - le langage - la langue

وقد أراد من تمييز كل مصطلح أن يصل إلى تحديد اللغة باعتبارها "شيئًا" يمكن درسه "علميًا".

أما الأول وهو فيهو La parole وهو لفظ ما يمثله "كلام الفرد"، وهو لذلك ليس "واقعة اجتماعية"، لأنه مصدر عن "وعي"، ولأنه نتاج فردي كامل، على حين أن الوقائع الاجتماعية ينبغي أن تكون "عامة" تمارس "فرضها" على المجتمع ليست كالحركة الفردية التي تتصف بالاختيار الحر.

وأما المصطلح الثاني فهو le Langage مجموع الكلام الفردي والقواعد العامة للغة الإنسانية، وهي أيضاً ليست "واقعة اجتماعية" لأنها تتضمن العوامل الفردية المنسوبة إلى المتكلمين الأفراد.

وأما المصطلح الثالث فهو la langue الذي يراه صاحبًا للدراسة العلمية؛ إنه اللغة المعينة، ولقد حدده في هذه الصيغة:

La Langue = le langage minus la parole

(1) De Saussure; Course .... pp. 7-17.
وهذا المصطلح يعبر عن "العادات" التي تعلمها من المجتمع الكلامي، والتي على أساسها تصل بالآخرين في المجتمع، ويبقى بيننا الفهم المتبادل.

والتمييز بين هذه المصطلحات يفضي إلى نتيجة هامة عند دي سوسير، فالمصطلح الأول ليس واقعة اجتماعية، لأنه فردي، والفرد يقيم على عنصر الاختيار، وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة "علمية". والمصطلح الثاني لا يمثل كذلك واقعة اجتماعية "لقنية" لأنه يضم le langage إلى الحواف الاجتماعية جوانب فردية. وإذن فإن هي وحدها "الواقعة الاجتماعية" لأنها "عامة" داخل المجتمع وهي تمارس فرضًا على المتكلمين الأفراد. وهي لا توجد كاملاً عند كل فرد - إنها عنده - Collective consciousness.

والحق أن هذا التفسير يؤدي أن تكون "تجريداً" la langue ولكن دي سوسير كان يدرك ذلك، بل كان يرى هذا التجريد أصلح شيء للدراسة العلمية.

ولهذا التحديد الأساسي يكشف عن تقدم دي سوسير نحو الدرس العلمي متأثراً بدور كابيترين جعل البحث باعتبارها "واقعة اجتماعية" عامة، تكون "نظامًا" من القيم، ومن ثم فهي "شيء" يمكن ملاحظته وتجربته وتجربته ووصول paroles القوانين التي تحتويه. فالكلام الفردي لا يمكن وضعه في صيغة علمية، إن أقصى ما نستطيع هو أن نصوره على النحو التالي:

\[ 1 + 1' + 1'' + 1''' + 1'''' + 1... \]
لا langue في نهاية، أما للصياغة العلمية:

\[ 1 + 1 + 1 + \ldots = I \] (Collective pattern)

ويتقدم دى سوسير خطوة أخرى ليقدم أهم ما تمثله إضافته في الدرس اللغوي، وذلك ما تناوله في الفصل الذي كتبه بعنوان:

\(1\)

Static and Evolutionary Linguistics

والذي عرض فيه نظرته في منهج البحث.

لقد كان النحويون الشبان فقد قرروا أن Junggrammatiker الدراسة الوحيدة لدراسة اللغة هي دراستها التاريخية، عارض دى سوسير هذا الاتجاه وقرر أن اللغة ينبغي أن تدرس في مرحلة خاصة أو في "حالة اللغة" etat de langue، أي تدرس حالة استقرارها Synchronic في بيئة مكانيّة زمنيّة محددة، واتخذ لذلك مصطلح للدلالة على هذا المنهج، وهو الذي ساد علم اللغة منذ ذلك الحين.

إن دراسة اللغة في حال استقرارها هو ما يعرف الآن بالمنهج "الوصفي".

وقد أشار دى سوسير إلى أنه يشبة ما يجري في دراسة النبات مثلاً، حين تقدم شريحة مقطوعة قطعاً أفقياً، وأخرى مقطوعة قطعاً رأسياً.

إن القطع الأفقي هو الذي يكشف، لأنه يقفنا على مرحلة خاصة، وعلى حال محدودة، ذلك أن هذا القطع يشمل مجموع "الخلايا و "الحلفات" والآلياف" التي يمكن مقارنتها، والتي يسهل تمييز كل واحدة منها من الأخرى، بسبب وضوح مكانها على السطح.

(1) Ibid: pp. 79 - 100.
هذه المادة لا يقتضين أ نعرف شيئًا عن تاريخ ما نراه. إنه يفضي بناءً على أن "نحدد" المكان، وأن نحدد كل جزء، "و نصفه" بربطه بما يجاوره من أجزاء. وهكذا اللغة، إن صاحبها لا يحتاج أن يعرف شيئًا عن اشتقاق كلمة أو تاريخها كي يستعملها. ومن ثم فإن نتناول اللغة ينبغي أن يكون على هذا الأساس، أي على القطع الأفقي كـ يقول لـان القطع الرأسي الذي يمثل الدراسة التاريخية - لا يقدم لنا صورة متكاملة على السطح، بل يؤدي إلى صور مختلفة حيث نرى خطوطاً تنتشر وقد تختفي ومن ثم يضيع التحديد وتصعب "المقابلة" ويستحيل "التمييز".

إنه هذا العرض الذي قدمه دّى سوسير أثبت أن التناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولاً "علميًا" لأنه لا يستطيع أن يطبق مبادئ البحث العلمي - ومنذ ذلك الحين وجد مصطلحاً وDiachrony طريقهما إلى البحث اللغوي ليشير الثاني منهما إلى المنهج Synchonycy الوصفي الذي يراه اللغويون المحدثون حتى الآن المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي.

والأساس الثالث في نظرية دى سوسير هو فكرة "العلامة اللغوية" وهي التي أدت به إلى اعتبار اللغة نظامًا The Linguistic Sign من "العلامات"، والبحث العلمي يؤمن بوجود "أشياء" محددة ومعينة، رآها هو في العلامة اللغوية، يعلق دى سوسير على ما يعبر به الناس عن اللغة من أنها "مستودع من العلامات" deposit of signs

فهم فهما العلامات على أنها "مفردات" اللغة، أو على أنها الصلة بين "اللفظ" و "الشيء الطبيعي". وهذا كله خطأ. إن العلامية عندنا لا تفصل "الشيء" عن "اللفظ" ولكنها تصل "التصور" بالصورة السمعية إذا وحدة طبيعية ذات جانبين، ويمكن توضيحها بالشكل الآتي:

\[
\begin{array}{cc}
\text{concept} & \text{sound image} \\
\hline
\text{signifié} & \text{significant} \\
\hline
\end{array}
\]

\(= \text{The Linguistic Sign} \)

وهو يعني "بالتصور" أو الشيء المعنى، بالصورة السمعية signifié ... و "العلامة" ليست واحداً منهما، إنها كلها معاً، أو هي كالورقة لا يمكننا أن نقطع وجوها دون أن نقطع الوجه الآخر. إن أي تغيير في الصورة السمعية لا بد أن يؤدي إلى تغيير في التصور، وأي تغيير في التصور لا بد أن يؤدي إلى تغيير في الصورة السمعية.

إن فكرة "العلامة" هي التي كان يبحث عنها لوضع منهج علمي وصافي لأنها هي الشيء الذي يمكن تحديده وتعيينه، وهي تتشابح عندنا لتشمل كل ما يمكن تمييزه كالألفام والعبارات والكلمات و"الморفيمات".  

هذه هي الأصول الثلاثة التي نمضي عليها منهج د. سوسير، وهي

(1) لست هنا مذنبا بالحديث المفصل عن الخرزيات، وإنما همها أن تتتبع الأسس التي يقوم عليها المنهج.
التي غيرت اتجاه الدرس اللغوي في هذا القرن. وسلكته في ميدان الدرس "العلمي" الموضوعي، ولعله من المفيد بعد هذا العرض أن نشير إلى ما يلي:

1 - إن اتجاه د. سوسير إلى دراسة اللغة باعتبارها واقعة اجتماعية عامة إذا كان يتاثر به ياراو دور كايم، وهي التي أدت به إلى اعتبار ميدان البحث اللغوي.

La langue

2 - إن رفضه للمنهج التاريخي كان رفض العارف بحقائقه وأصوله مما أدى به إلى اعتبار "المنهج الوصفي" الطريق الوحيد لبحث اللغة على أساس علمي.

3 - إنه هو الذي اقترح فكرة دراسة اللغة باعتبارها "نظاماً من العلامات" كما يتسنى تطبيق مبادئ البحث العلمي عليها.

4 - إنه مع تأثره بدور كايم كان يسعى إلى أن يكون "علم اللغة" علماً "مستقلًا بذاته" autonomous ومن ثم كانت آخر جملة قالها في محاضراته "إن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" (1).

"The true and unique object of linguistics is language studied in and for itself."

تطور علم اللغة الحديث في الجامعات الأمريكية في وقت يقارب
تطوره في أوروبا وأخذ بسهم في وضع أصول علم. منذ أوائل
هذا القرن، وتميز باتجاهات خاصة قبل بعض الدوائر الأوروبية ورفضت
بعضها الآخر، حتى استمر الآن لدى الدارسين أن هناك تناولاً أمريكيًا
خاصًا للدرس اللغوي.

ويمثل إدوارد ساپير (Edward Sapir) جيل الرواد في هذه المدرسة،
وقد اتخذ الموضوع هناك دعي سوسيت من ميدان آخر هو ميدان
الأثروبولوجيا.

كان ساپير (1) في السادسة والعشرين حين التقى في نيويرك سنة
Franz Boas 1904 بالعالم الأثروبولوجي فرانز بوغز. وكون
وساپير بعد حينذالك بجده للماجستير في الدراسات الألمانية على
منهج الفيتنولوجيا الذي أشرنا إليه وحين تعرف على أفكار بوغز
ومنهجه في البحث الأثروبولوجي تغير اتجاهه تغييرًا كاملاً.

ولد فرانز بوغز سنة 1885 أي نفس السنة التي ولد فيها دور كايم.
وأخذ يجري دراسات حقلية وخاصة بين قبائل الهند الأوروبية،
وجمع مادة طيبة من لغاتهم، واستمر لديه أن فهم المجتمع لا يكون
عن طريق «البيئة» وإنما عن طريق «الثقافة»، وأن درس ثقافة ما
لا يكون درساً علمياً إذا أفلحت دراسة اللغة. والدراسة الحقلية جعلته

يدفع اتجاهًا مغايراً لمنهج د. سوير: فعلى حين اعتمدت د. سوير على la parole رأى بروز أن البحث اللغوي يجب أن يوجه إلى la langue لأن كلام الفرد هو الشيء الذي يمكن رصده وبحثه من هذه النسب.

توقف ساير عن الدراسة الفيلولوجية القديمة، وأخذ ينحو منحى بروز مطرأً منهجه في بحث الظواهر اللغوية، وتوجه توجهه كاملاً إلى الدراسة الحقلية، معتمداً على المصادر البشري في جمع informant إلى الدراسة الحقلية، معتمداً على المصادر البشري في جمع مادته اللغوية، وقدم بحوثه كثيرة عن عدد من لغات الهندوس الأمريكيين، جامعاً بين اللغة والأثر البولوجي. (1)

وقد خلف لنا ساير كتاباً واحداً هو Language فقد جعلها في عدد من المقالات والبحوث نشرت في المجلات والدوريات العلمية.

ولا شك أن الدراسة الحقلية جعلت تقرب البحث اللغوي من مناهج البحث العلمي لأنها تقوم على الاتصال المباشر باللغة المنطقة كما هي، ولأنها تعتمد على الملاحظة والتصنيف والتحليل لما هو واقع، وقد أدت له هذه الدراسة إلى أهم إضافة في علم اللغة الحديث وهو ما أسماه: Linguistic form الشكل اللغوي.

لقد قرر ساير أولًا أن "الأشكال" اللغوية ينبغي أن تدرس في ذاتها، أي باعتبارها أشكالاً، وليس على أساس من المدلولات التي نتصورها.

عندما يعاقب الأنسان على كلامه، يتركون الأشياء في كل خطوة من خطوات التحليل.

«the linguistic expression of a proposition»

ويستمر ذلك ما ي umożliwia من ليس حين يفهم «الشكل اللغوي» على أنه شكل منفصل عن معنى، إذ لا يمكن إنكار الطبيعة الإدراكية للغة، واليوم أن نبحث عن العناصر الأساسية التي تكون في الشكل اللغوي، وقد رآها ساير ثلاثة عناصر.

1. Radical - grammatical element
2. Word
3. Sentence

بالنسبة إلى المعنى، كما رآه ساير ينبغي أن يركز على دراسة التركيبات الكلامية، وهي تقتضي دراسة الأنماط في الصوت والكلمة والسلاسل. وقد لقي هذا الاتجاه تقدماً من بعض الذين ظنوا يتجاهل جانب المعنى، وصوروا على أنه دراسة جامدة لا حياة فيها.

وقد رأى ساير بأن «التركيبات الكلامية» هي هرم اللغي الأول، لأن أهم خصائص اللغة - حتى في أكثر اللغات بدائية هو اكتشافاً للأشكال الكلامية. ولكن ذلك لا يعني درس «التركيب» مستقلة عن تأديته من «وظيفة».

(1) Ibid: p — 35.
(2) Ibid: pp. 33 — 34 — 35.
ومن هنا رأي سابق أن دراسة "الشكل اللغوي" (1) تقتضي ركيزتين ضروريين، أولاً "التصورات" الأساسية التي تؤدي اللغة في الاتصال بين الناس، وثانيهما الطرق "الشكلية" التي ترتبط بها هذه التصورات. وهذه الطرق الشكلية هي ما يسمى "العمليات البهائية". وقد قدم لها ستة نماذج:

1 — Word order
2 — Composition.
3 — Affixation.
4 — Internal modification of the radical or grammatical element.
5 — Reduplication.
6 — Accentual differences.

إن دراسة "الشكل اللغوي" جعله يؤكد غير مرة على أن المنهج العلمي يرفض دراسة اللغة في ضوء تصورات سابقة، أو على ضوء أنماط لغات أخرى. إن الدراسة ينبغي أن تكون من واقع اللغة نفسها، ومن ثم رفض التقسيم التقليدي "لأقسام الكلام" ورفض اعتبارها عالميات لغوية، ورآها تصنيفات غير صحيحة وليست وحدات وظيفية طبيعية وعلى الباحث أن يدرك أن لكل لغة أقسامها الخاصة.

(1) Sapir: Language, p. 59.
(2) Ibid. p. 119.
ويعد بلو مفيلد واحد من أهم بحث اللغة العلمية ومستقلة. كان د. سيوزر قد ركز على دراسة "العلامة اللغوية" وعلاقتها بما وضعت أناس النهج الوصفي غير أنه لم يقدم بذاك مفصلاً للأصوات اللغوية ومعانيها، ولقد كان سابق هو الذي قام بهذا البحث من خلال دراسته الخاصة.

وقد تأثر د. سيوزر بدور كايم في الاجتماع، وتأثر سابير بفرانز بوزر في الأنثروبولوجيا، أقام بلو مفيلد منهجه متأثراً بالمذهب "السلوك" المرجع في علم النفس وبخاصة عند واطسون "الoinedism" الذي يشرح هذا الاتجاه بأنه اكتشاف ما سوف يفعله الفرد في موقف معين أو حين يرى شخصاً ما يفعل شيئاً ما، وهذه الطريقة تكتنها من "التنبؤ بالاستجابة" في حين نعرف "المثير" أو "المحفز" (2).


(2) Dinneen : An Introduction, p. 240.
ويترتب على ذلك أن "السلوك الإنساني" يمكن معرفته عن طريق فهم الظواهر النسبيولوجية وغيرها من الظواهر المادية في سلوك الأفراد.(1)

شرح بلومفيلد منهجه في كتابه "Language" الذي كان مصدر الدرس اللغوي في أمريكا وفي عدد من دول أوروبا إلى فترات قريبة، بل وصفه الباحثون بأنه "إنجيل علم اللغة الأمريكي".

"The bible of American Linguistics"

وكان بلومفيلد قد أصدر كتابا سنة 1914 بعنوان:

"Introduction to the Study of Language"

راجعه وثغره سنة 1933 إلى كتاب "Language" بعد اتصاله بالمذهب السلاوكي الذي كان مزدهرا في الثلاثينات.

بدأ بلومفيلد كتابه بتحديد "دراسة اللغة" فقرر أن الدراسات القديمة قبل المدرسة الفيلولوجية التاريخية - دراسات غير علمية لأنها "استدلالية" و "معيارية". وأكد أن الدرس الوحيد للغة ينبغي أن يكون درسا وصيفا "استقرائي". (2)

ويشير منهجه في بحث "الحدث الكلامي" من الوجهة "السلوكية" ورافضاً طريقة التناول العقلية "mentalistic" القديمة. يقول إن الخطوة الأولى في دراسة اللغة هي أن تعتبرها صورة من السلوك "الجسماني".

(2) Ibid : p. 20.
فشكما يمكن فيه هذا السلوكي من خلال الظروف البسيطة التي تكنته
بكون فيه احداث الكلام. وهو يشرح ذلك بقصته عن 'جاك' 
و 'جبل' (Jack و 'جبل' ) ترى تفاحة على شجرة . تحدث صوتا بحنجرتها وسمها
وشيتهما ، يسلق 'جاك' الشجرة ليأتي بالتفاحة ، تأخذها 'جبل' وتأكلها.

هذه القصة توضح الظروف البسيطة التي يمكن تحليلها إلى ما يلي:

1- أحداث عملية تسبق حديث الكلام.

2- الكلام.

3- أحداث عملية تتبع الحدث الكلام.

وهذا يشرح الخطوة الأولى بأن 'جبل' كانت جائعة ، أي أن بعض
عضالاتها كانت تتحرك بطريقة معينة أيضا ، ثم إن الموجات المفروضة
المعكسة من التفاحة أثرت على جيتها ، كل ذلك يمثل المثير أو المنه
وهو الذي يرمز إليه بالرمز (S) . ولو كانت 'جبل' وحدها لأنت
بالتفاحة هي ، وهو ما يسمى 'استجابة' ورمز لها بالرمز (R) . ولكن
جاك كان معه ، هنا تحدث 'استجابة بديلة' (R)
(1) وهو الحدث الذي تنقل به جيل يحقبها في التفاحة ، وهذا الحدث
بجلد ، ومن ثم يتسلق substitute stimulus الشجرة و يأتي بالتفاحة ، وهو 'استجابة' (R )
لحدث الكلام.

ويوضح بلومفريد المسألة على النحو التالي:
إن هذا التصوير يوضح أن الخطوط المتقطعة — تمثل الحدث الكلامي وهو الذي يملأ الفراغ بين جسمه الملائم والساعم (1) — وهنا الفهم يجعله يقارن بين نظريتين (2) لتفسير الكلام الإنساني، أما النظرية الأولى فهي النظرية العقلية mentalistic و هو يرى أنها تجمع السلوك الإنساني إلى عوامل غير فزيوقيا ملموسية، إلى الروح أو العقل أو الإرادة مثلاً، وهي تختلف اختلافا جوهرياً عن الأشياء المادية، ومن ثم فهي تتبع نوعاً غير واضح من العلل، أو لا تتبع علة على الإطلاق، بل إن العقل والإرادة لا تتبع أباماء "الطراد" بين العلة والأثر في العالم والمدى "cause - and - effect sequences" ومن ثم لا يستطيع أن نستطيع بسلوكها، أي لا تستطيع للوصف "العلمي".

وأما النظرية الثانية فهي التي يسميها النظرية المادية materialistic، وهي التي تراها صالحة لدراسة السلوك الإنساني، لأن التصرفات الإنسانية جزء من "الطراد العلة والأثر"، وهي تشبه ما نلحظه في دراسة الطبيعة أو الكيمياء. وعلى ذلك فإن "الكلام" باعتباره نمط من السلوك الإنساني معقد تعقيداً، حتى إنأ تغيير بسيط يؤدي إلى سلسلة معقدة من التتابعات، وأي تغيير بسيط في حالة الجسم قد يؤدي إلى اختلاف كبير في "الاستجابة"، ولنكن نستطيع أن نتنبأ بسلوك الشخص إذا عرفنا الحالة التي هو عليها في نفس اللحظة.

(2) Ibid : pp. 32 - 3.
إن دراسة الكلام في هذا السياق تؤدي إلى نتيجة هامة عند بلومفيلد، وهي أن الحدث الكلامي له "معنى"، ومن ثم فإن دراسة الكلام باعتباره أصواتا دون اعتبار المعنى يؤدي إلى نقض النظرية من أساسها، ولكنه يقرر مع ذلك "أن تقرير المعاني هو أضعف نقطة في دراسة اللغة، وسوف تبقى هناك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية إلى أبعد من حالتها الراهنة" (1).

وبعض بلومفيلد يقدم في كتابه عرضا مفصلاً يطبق فيه نظريته في دراسة الحدث الكلامي باعتباره سلو كا يخضع للملاحظة والتنبؤ والتفسير، فتناول الفونيين وأماطه، والتركيب الصوتي، والأشكال النحوية، والجغرافيا اللغوية، وأنواع التغير اللغوي. وقد أسس في ذلك كله مصطلحات كثيرة لا يزال معظمها مستعملاً حتى الآن.

والحق أن تأثير بلومفيلد على دراسة اللغة في أمريكا وفي أوروبا كان عظيماً، بل إن منهجه في الوصف العلمي هو الذي ظل سائداً في الجامعات الأمريكية حتى السنوات الأخيرة.

وبعد، فهؤلاء الثلاثة هم الذين وضعوا أسس علم اللغة الحديث، وسعوا في تأصيل قواعده نظراً وتطبيقات، ونحن نتوقف عندهم لما نسراه كافياً من توضيح إطار المنهج، ولكننا نشير إلى أندرس الحديث يعرف عدداً كبيراً من علماء اللغة في الغرب نذكر منهم عالماً مدرسة كوبنهاجن Louis Hjelmslev وهلمسليف Otto Jespersen في الدانمرك يسيرسن.

(1) Ibid : p. 140.
صاحب نظرية دراسة "التركيبات الشكلية" المحضة في اللغة تحت أسماء glossematics وذكرا منهم غسان مدرسة لندن تحت قيادة J. R. Firth فيرث وذكر منهم العالم الروسي ترومتسكوين N.S. Troubetsky وذكر نظرة جاكوبسون Jackobson وذكر هؤلاء وهؤلاء كثيرون، ولكن إطار المنهج هو كما وضحنا.

وقد يخشى أن نشير بعد هذا العرض إلى ما يلي:

1- أن الدروس اللغوية عرف نضجته الحقيقية في الغرب بعد كشف خصائص المسكنية وازدهار الدراسات الفيلولوجية في القرن التاسع عشر في بحث النصوص القديمة ومقارنة اللغات ومحاولة إعادة صياغة اللغات الأولى ثم محاولة الوصول إلى قواعدين وبخاصة فيما يتعلق بالتغيير الصوتي على أن الطابع العام لهذه الدراسة ظل في حيز التنافل التاريخي للظواهر.

2- أن علم اللغة الحديث لم يبدأ من جهل أصحابه بالمنهج الفيلولوجي التاريخي، وإنما كان نتيجة الاتصال المباشر به والمشاركة فيه دراسة وتأليفاً ومن ثم فإن التطور كان صحيحاً حين رأى أصحابه أن المنهج التاريخي قد استوفي أطروحته وأنه لم يعد يصح ببحث الظواهر اللغوية على مبادئ البحث العلمي.

3- أن هؤلاء العلماء قد وجدوا اهتمامهم إلى جعل درس اللغة "علاماً مستقلًا"، بحيث تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وهذا لا يعني استبعاد الإفادة من العلوم الأخرى كالطبعة والتشريح وعلم النفس وعلم الاجتماع.

4- أن الدعوة إلى "العلمية" البحث اللغوي و"استقلاله" لا يتناقض.
مع تأثير التغيير الكبير بعلماء من ميادين أخرى كما رأينا من تأثير دي
سير بدور كام، وتأثير ساوبر بفرانز بروز وتأثير بلومنفيلد بالسلوكيين.

5 - أن الفضل في تأسيس "المنهج الوصفي" يعود إلى دي سوسيئر diachrony الذي دعا إلى طرح دراسة اللغة في حال التغيير، ودراستها Synchrony في حال الاستقرار، في حال الاستقرار، وحن ساوبر وبلومفيلد.

6 - أن المنهج الوصفي مع تأكيده على عنصر "المعنى" في الكلام الإنساني قد ركز اهتمامه على بحث الأنماط و"التركيب الشكلي" في اللغة.

7 - أن هذا المنهج ظل مسيطر على البحث اللغوي في الغرب حتى أواخر الخمسينات حين ظهر اتجاه جديد لا يقف عند "وصف" الظواهر وإنما يسعى إلى "تفسيرها" على أساس من المنهج العلمي كذلك.

٤٣
الفَصِّل الشَّاهِي

الوصفيون والنحو العربي

كان المناهج الوصفية كما رأينا تحولا في دراسة اللغة، وقد ظل يسعى إلى تغيير «النحو القديم» بما يوافق البحث العلمي الموضوعي. غير أن هذا النحو القديم كان مستقر الأركان ولا يزال منذ قرون بعيدة، حتى إن علماء اللغة المتحدرين يضطرون في الأغلب الأعم إلى بدء أعمالهم بإزالة «الأوهام» الواسعة قبل أن يتناولوا أسس المناهج الحديثة، فيكتب بعضهم «عما ليس من علم اللغة» «What linguistics is not». قبل أن يكتب «What linguistics is». (1)

والأما في السنوات المحدثون يطلقون على النحو القديم اسم «النحو التقليدي» ويعتبرون به منهج النحو القائم على أفكار أرسطو عن طبيعة اللغة اليونانية، كما تتمثل في أعمال اليونان والرومان القدماء، والذي نود أن نشير إليه هنا أن النحو التقليدي نحو غربي، وأن النحو الوصفي بمدته العلمية الحديثة نحو غربي أيضا، كلاهما نشأ وتطور في اللغات الأوروبية.

---
والوصفون يفجرون في شرح جوانب النقص في النحو التقليدي؛ ولا يكاد يخلو بحث من هذا الشرح، ونحن نجمل هذه الجوانب فيما يلي (1) 

١ - أن الفرق الجوهري بين النحو التقليدي وال نحو الوصفي التركيبي هو الفرق بين منهج العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية؛ ولعل أهم خصائص النحو القديم أنه يحدد قول عدد اللغة بناء على فهم المعنى أولًا، ومن ثم أن القواعد تتحدد وفقًا للدروس نفسه، أي أن هذا النحو يتقدم على أساس ذاتي، أما النحو الوصفي فيقسم تحليله التركيبي للغة على أساس ارتباط الظاهرة بالظواهر الأخرى وليس على أساس ارتباطها بالدروس نفسه، ومن ثم فإنه يتقدم على نهج موضوعي، ويترتب على ذلك أن النحو الوصفي ركز اهتمامه على دراسة الآشكال اللغوية باعتبارها أمتراكاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قواعد العلاقات.

٢ - أن النحو التقليدي يتم أساساً بصرفه علة، والسؤال الذي يشغله أصحابه دائماً هو: لم كان هذا هكذا ولم يكن غير ذلك؟ والاهتمام بالتحليل كان نتيجة لصدور هذا النحو عن الفكر الأرسطي، أما النحو الوصفي فهي وجهة واحدة هو أن يقرر الحقائق اللغوية حسبما تدل عليه الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية. والحق أن هذا الفرق جعل النحو التقليدي مفهوماً على وجه العموم بسبب تأثره الثقافي الذي يربطه بالنظرية الأرسطية، وبالتجهيزات الدراسات الدلالية في العصور الوسطى.

الكلام» حسب وظيفتها في هذه الجملة فقط، أما الأدوات الأخرى مثـلاً الجملة، فقد جرى شرحها باعتبارها أشكالاً من المنحرفه من الجملة الخبرية.

أما النحو الوصفى فتأكد على ضرورة تناول كل «التطويف اللغوي» على ميزان واحد من البحث، وعلى تقرير الخصائص المميزة لكل الأدوات. والحق أن الجملة الخبرية اعتبرت أساسية أيضًا النحو الوصفى، ولكن ذلك يرجع إلى «كثره استعمالها» وليس إلى افتراضات سابقة.

4 - أن اعتماد النحو التقليدي على المنطق الأرسطي، وهو ممين على اللغة اليونانية، أدى بهذا النحو إلى تحديد قواعد اللغات الأوروبية على ضوء ما تقرر في اللغة اليونانية واللغة اللاتينية، وهكذا حدث خلط شديد في فهم ظواهر كل لغة.


6 - أن النحو التقليدي قد خلط «مستويات التحليل اللغوي» خلطًا شديداً، بحيث لا يتحدد أسس التحليل الصوتي والصرف ونحو، في نسق
منهجي واضح، وإما هي تداخل تداخلًا يؤدي إلى تناقض الأحكام في

كثير من الحالات:

هذه هي جوانب "النقد" في النحو التقليدي كما يعددها الاصطوان;

ومع ذلك فلا يزال هذا النحو سائداً في مراحل التعليم المختلفة في الغرب،
والتصوفيون يعرفون بأن النحو القديم قد أثبت أن فيه جوانب "قسوة"
واضحة؛ منها أنه استطاع أن يستمر هذه القرون الطويلة، وأن الناس
يفهمونه حين يتعلمون اللغات الأوروبية على أسسه، وأنه — باعتباره
إنسانيًا في أصله — يقدم إجابات عن الأسئلة التي تواجهه. وال نحو الاصطواني
– على أي حال – لم يقدم حتى الآن "نحو شاملي" يضارع شيئاً مما قدمه
التقليديون.

و حين انتقل المنهج الاصطواني إلى الدرس العربي بعد اتصال أستاذتنا
وابحثناه فب الغرب، بدأت هذه الانتقادات التي أخذها الاصطوان على
ال نحو التقليديي الأوربي تظهر في معظم المؤلفات الحديثة التي تعرض لل نحو
العربي، على أنها في أغلبها تركز فيما يلي:

1 - أن النحو العربي قد تأثر بالمنطق الأسترسي منذ مرحلة الأولى،
وأن هذا التأثر صار طاغياً في القرون المتأخرة، وقد أدى ذلك إلى أن يكون
ال نحو العربي "صورياً" وليس "واقعاً" ومن ثم اهتم بالتحليل والتقدير
والتأويل، ولم يركز درسه على الاستعمال اللغوي "كما هو". و ما كان
هذا أهم جانب في نقد الاصطوان لل نحو العربي إذا نفرد له فصلاً خاصاً
بعد هذا إن شاء الله.

2 - أن النحو العربي لم يعده للعربية كما يتحدثها أصحابها وإنما فقد
للوربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الأغلب — شعر
أو أمثال أو نص قرآني، أي أنه لم يعصر درسه ليشمل اللغة التي يستعملها الناس في شؤون الحياة، وإنما قصره على درس اللغة الأدبية. وقد أشارنا إلى أن الوصفين يقررون أن هناك «مستويات» مختلفة من الكلام، وأن لكل مستوى نظامه، وقوائمه، وأن الشرع على وجه الخصوص له نظامه الذي يختلف عن نظام غيره من مستويات اللغة الأدبية.

وقد ترتبت على ذلك أن الناحية القدما درجوا الكلام العربي درجات حسب وروده في هذا المستوى الخاص من اللغة، وقد ظهر هذا الأنجبه منذ البداية على ما نرى في كتاب سيبويه، فالكلام عنده «جيد بالغ»، أو "عربي" أو "جائز حسن" وهو أحيانا «خبيث يوضع في غير موضع» أو "قبيح" أو "ضعف حديث".

وقصر الدرس النحوي على هذا المستوى من اللغة أفضى بهم إلى وضع قواعد العربية على أساس من النصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشائع في هذه اللغة، ولم يكن مناصراً من أن يواجهوا نصوصاً من هذا المستوى الأدبي - تختلف ما وضعوه من قواعد، فاضطروا إلى اللجوء إلى التأويل والتقدير واختلاف التفسير، والاحتكام إلى الضرورة أو إلى الشذوذ، بل إلى وضع نصوص تستند بعض هذه الأحكام.

على أننا ينبغي أن نفهم الأشياء في (سياقها)؛ فقد أشارنا إلى أن النحو - شأن العلوم الإسلامية الأخرى - نشأ (لفهم) النص القرآن الكريم، فاللغة التي توجه إليها الناحية هي هذا النص الذي هو مناط الأحكام في الحياة الإسلامية، والذي هو أيضاً (إعجاز) لغوي، ومن ثم كان توجههم إلى النصوص الأدبية - الشعرية منها - استخلاص القواعد التي تدور عليها العربية التي نزل بها القرآن الكريم. وحسب أن هذا أمر ضروري لفهم طبيعة النحو العربي، ونضعه في إطاره الصحيح النحو العربي - 49
غير أننا قد نلتقي إلى أن الحكم على النحو بأنه اعتمد على هذا المستوى الخاص من اللغة فيه نصيب كبير من الصحة، وفيها أيضًا نصيب من التجوز. فالنحاة في الحق—لم يأخذوا كل قواعدهم من النصوص العالية بل اتصلوا بالحياة اللغوية معاً، وأنا لذا نذكر ما قاله البصريون لعلماء الكوفة: «نصح الناحية اللغة عن حرشة الضباب وأكله البراهيم، وأنتم تأخذونها عن أكمل الشواريز وعارة الكومايخ».

3 - أن النحو العربي مع تحديده لمستوى اللغة التي يعدها حداد أيضًا بيئة مكانية وزمانية لهذه اللغة، فهو لم يسعى بالتفعيل إلا على اللغة المستعملة في بوادي نجد والحجاز، ومن ثم تأثر بحياة الحضر أو بالاتصال ببيئات لغوية أخرى. وقد كان الاعتماد على كيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين آخذوا أكثر ما أخذ ومعظمهم، وعلىهم اتكان في الغرب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذا وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى فقط ولا عن سكان البراري عن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم.

وهو هذا التحديد فيمكن صحبه تحديد آخر للزمان، فقدروا عصر الاستشهاد بآخر العصر الفارسي لما نعرف من عزوهم الأخير على لغة العصر العباسي التي تعرضت لتأثيرات كثيرة منحضارات مختلفة، وهذا التحديد الزماني قد يكون سبباً أيضًا في امتلاع معظم النحاء عن الاستشهاد.

(2) السيوطي: المزهر تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين - دار إحياء الكتب العربية، 1111.
والحق أن هذا الجانب يبعث ما أوضحته في النقطة السابقة؛ ذلك أن التصد إلى "فهم" النص القرآني هو الذي أدى إلى تحديد "مسكون" لغوي معين، وهو الذي أدى إلى تحديد "مكان" و "زمان" لـ هذا المستوى. إن النحاة لم يذكروا أنهم يتقاسمون للعربية العامة التي يستعملها أصحابهما في كل شأن، والتي تختصر مظاهر مختلفة باختلاف المكان والزمان، وإنما هم يؤكدون أنهم يعذبون لهذه العربية التي تصلح لفهم لغة القرآن، فالبحث عن "نقية" اللغة و "فصاحتها" كانت غاية من غاية في الجمع اللغوي، وقد أبان ابن جني في ترك الأخذ عن أهل

المصدر كما أخذ عن أهل الوبير أن "Ubuntu امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاحتكال والفساد والختال، ولو علّم أن أهل مدينة باكون على فصاحتهم، ولم يُعرَض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبير. " (1)

أن النحو العربي لم يميز حدودا واضحة "مستويات التحليل اللغوي"، وإما اختلفت في هذه المستويات اختلاطا شديدا، فقد ظلت كتب النحو منذ كتاب مبسوطة تجتمع الظواهر الصوتية إلى الصرفية إلى النحوية، وقد عرف ابن جني النحو بأنه "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيرة، كالثنائية، والجمع، والتحليق، والتكسير، والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليحلق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم: وإن شذ بعضهم عنها رُدِّ به إليها. " (2)

والحق أن اختلاط مستويات الدرس ظاهرة واضحة في النحو العربي، ولم يكن ذلك أمرًا غريبًا في المراحل الباكرة التي نبهن بها في هذا البحث ولكنها استمرت في الأعمال المتأخرة رغم محاولات طيبة في فصل هذه المستويات. فقد ظهرت كتب مفردة في دراسة الأصوات اللغوية مثل كتاب "صناعة الإعراب" لابن جني، (3) وظهرت كتب مفردة للدرس الصرفي، مثل تصريفي أبي عثمان المازني وشرح ابن جني له في

(1) ابن جني: الخصائص 2 / 5
(2) ابن جني: الخصائص 1 / 34
(3) ابن جني: صناعة الإعراب؛ تحقيق مصطفى السقا وآخرين - مطبعة مصطفى الباجي الخديوي - القاهرة . 1954 .

52
المصنف (1) الذي أشار فيه إلى وجوب أن يكون الصرف سابقاً للدرس
التحوي لأن التصريف إما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إما
هو لمعرفة أحواله المتنقلة . . . وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب
على من أراد لمعرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات
الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة(2). غير أن اختلاط
الصرف بدراسة تراكيب الكلام في الكتب التحوي لا يختلف كثيراً عما
يقرره الوصفين من أن النحو يشمل الموفرولوجيا والنظم، أو أن النحو
عند التحويلين - كما سنرى - يشمل كل مستويات الظاهرة اللغوية، لكن
ذلك لا يعني - في الحق - اختلاط المستويات، لأن لكل مستوى منها منهج
ومصطلحات في تحليل المادة بحيث تؤدي مع تطبيق مبادئ البحث العلمي
إلى الوصول إلى القوانين الموضوعية لها . إلا أن ذلك كله ينتقد إلى أن
كتب النحو العربي حافظة بمادة صالحة جداً عن العربية، وهذه المادة – وإن
تكم في مستوى لغوي وصحي ومكي معين – تقتنها على طريقاً قدماء في
تناول الظاهرة اللغوية، وهي طريقاً لا تبتعد – في جوهرها – عن كثير
ما يقرره الوصفين.

وقد أشارنا آنفاً إلى أن النحو العربي نشأ في مناخ عقلي عام، استمد
منه أصول متهجه، وذكرونا أن القراءات القرآنية كانت تقى محسوحاً.
وقد أخذ النحو منها هذا الأصل، وكان ذلك يعني أن يقدم النحو
العربي جانباً وصفياً لبحثه النتيجة النصفي، ولقد يكون مفيداً أن نشير
إلى أهم مظاهر الوصف فيه على النحو التالي:

(1) ابن جني: المصنف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان النظري، تحقيق
إبراهيم مصطفى وآخرين، مطبعة مصطفى الباهي الحديبي، 1954.
(2) المصدر السابق ص 4.
1 - أن العمل النحوي قد اعتمد على نهج خاص في جميع اللغة.

وصحيح أن هذا النهج كان مفيداً بحدود خاصة، لكنه - في حدده - كان اتصالاً مباشرًا بالاستعمال اللغوي، وكتب النجاح تذكر رحلة النحاة الأئمة إلى البادية بجمع اللغة، وتبرز عروضهم على معرفة الصورة الواقعية للكلام كما ينطقيه البداية، ولا زلنا نذكر أبا عمرو ابن العلاء الذي كانت تشبه عليه كلمة (فرجة)، وهي نفتاح النداء، أو يضمها وكان هارباً من الجناج حتى لقي أعراضاً في الصحراء، ينطقيها بالطريقة (فرجة)، ويخبره عن موته الجناج، فيقول أبو عمر، فما أدرى بأيهم كنت أشد فرحًا، بقوله (فرجة)، أم بقوله: مات الجناج (1)، ولا زلنا نذكر كذلك أن الكسانى قد خرج إلى الصحراء، وأنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوا ما حتفه (2).

ولم تقتصر هذه الطريقة على الأئمة الكبار في القرن الثاني بل استمرت في القرنين الثالث والرابع، ويثبت ابن جني في ذلك إنجاها واضحاً، إذ تبرز في كتابه ظاهرة جمع المادة من الانصاف المباشر بال مصدر البشري، وسألته يومًا قلت له: كيف تجمع (دكانا)؟ فقال: دكاكين، قلت فسرحان؟ قال سراحين قلت: فقرطنان؟ قال قراطين، قلت: فعثمان؟ قال: عثمانون، قلت له: هلا قلت أيضًا عثمانين؟ قال: أيش عثمانين؟ أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقوله أبداً. (3)

(1) الأبدي: نحوه الآلهة - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - دار نفحسة مصر

ص 25.

(2) السابق 99.

(3) ابن جني: الخصائص 1 / 242.
والاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي كما ذكرنا. وقد كان أيضًا أصلاً من أصول النحو العربي نتيجة لطبيعة الحياة العربية والطبيعة الحركة العلمية التي نشأت في مناخ عام أساسه التقليد والرواية وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو اتجاه وصفي في
تناول كثير من ظواهر اللغة.

2- أن العمل الثابت عن أبي الأسود الدؤلي في ضبط النص القرآني كان عملًا وصفيًا. ومهما يكن اختلاف الآراء في وضع بعض قواعد النحو، فإن عمله في الضبط قد مدح للتناول النحوي، وهو عمل وصفي محسن لأنه قام على الملاحظة المباشرة لقراءة النص، فقد قال لكالبيه: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقطع نقطة فوته إلى أعلاه. وإن ضمت فمي فانقطع نقطة بيد الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف (1) وهذه صورة تمتلئ قارئًا يقرأ، وكانتها تلاحظ حركة شفتيه، حتى تكون الرموز وصفا لهذه الحركة. ولا شك أن هذه التعبيرات السري أطلقها أبو الأسود على حركة شفتيه من فتح وضم وكسر كانت أساس المصطلحات الإعرابية في النحو العربي، وقد كان هذا الأصل الوصفي في ضمها ذا تأثير في دراستها عند أوائل النحاة.

3- أن الاتجاه الوصفي في النحو العربي يظهر في كثير جدًا مما قره النحاة الأوائل من أحكام، فالحق أن ما قروه لم يكن كله تأويلًا أو تطيلًا، وإنما كان فيه ما هو وصف تجريبي مشروح، وكان ذلك أوضح ما يكون في الأعمال الأولى التي هي هدف هذا البحث، والمتتبع للكتاب يرى أن سبب أنه قد أقام قواعده في أغلبه على الاستعمال اللغوي، ونلاحظ ذلك من عدة أمور:

(1) ابن النديم: الفهرست 59 - 60

55
(1) أنه يقرر مباشرة أن الأحكام إما تجري على كلام العرب، وفي كتابه تكرر عبارات من نحو: "فآجره كما أجريه، وضع كل شيء موضعه." أو "فآجره كما أجريته العرب واستحسنها." 

(2) أنه لا يوغض وراء تفسير الأوهام إذا لم تكن لديه مادة تندد رأيه بل يميل فيها إلى الاستعمال مقررًا استحالة الاستقراء العام للكلام، وأكثر الأفكار ما يدور مثل هذا التفسير: "وكل شيء جاء قد لزمها لأن الله الكلام فهو بهذه المنزلة. فإن كان عرباً نعرف ولا نعرف الذي أشتق منه فإما ذلك ألا جهنيا ما علم غيرنا، أو يكون الآخر لم يصل إليه العلم، وصل إلى الأول المعنى." 

(3) أنه يجري الاستعمال اللغوي أدى به إلى عدم إغفال اللهجات باعتبارها عنصر في اللغة الموحدة. وفي الكتاب مادياً بأنا تتبع الاستعمال الفهمي، ولئن كان مسبيه يرجح هجة الحجازي كثير من الأحيان فإنه لا يتردد في أن يقرر أفضلاً اللغات الأخرى حين يرى الاستعمال فيها أكثر في الكلام. يقول:

"هذا باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا استفهمت عنه بمثنٍ. اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل رأيت زيداً: من زيداً؟، وإذا قال مرت بزيد: قالوا: من زيد؟ وإذا قال هذا عبد الله، قالوا: من عبد الله؟ أما بنو تيم فيفرون على كل حال، وهو أقصى قولين. فأما أهل الحجاز فإنهم حملوا قولهم على أنهم حكوا مسا."
تكلم به المستور، كما قال العرب: دعنا من مرتان، على الحكايّة لقوله ما عند مرتان. وسّعت عريباً مرة يقول لرجل سألته فقال: ليس قرشيًا؟ فقال: ليس بقرشيا، حكايّة لقوله، فجزا هذا في الاسم الذي يكون علمًا غالبًا على ذا الوجه، ولا يجوز في غير الاسم الغالب كما جاز فيه، وذلك أنه الأكثر في كلامهم وهو العلم الأول الذي به يتعارفون، وإنا يحتاج إلى الصفة إذا خاف الالتباس من الأسماء الغالبة. وإذا حكي مبادرة للمستور، أو توكيداً عليه أن ليس يسأله عن غير هذا الذي تكلم به. وإذا قال رأيت أما خالد، لم يجز: من أين خالد؟ إلا على قول من قال: دعنا من مرتان، وليس بقرشيا. والوجه الرفع لأنه ليس باسم غالب. (1)

(1) أن فكرة الكلاس على كثرة ما قبل فيها لم تكن عند سيويه غير متابعة الكلام العربي، وفي الكتاب إلحاح على هذا التصور. فتجد فيه مثل قوله: لأن هذا أكثر في كلامهم وهو القياس (1). أو قوله فهؤلاء قبائل لا تكللهم العرب، ولكن النحويين قاسوه، وأما قوله النحويين: قد أعطاه هو وأعطا هوني، فإما هو شيء قاسوه لم تكلمه به العرب، ووضعوا الكلام في غير وضعه، وكان قياس هذا لو تكلم به كان هينا. بل إنه يعارض الخليل، وبنسا في تفسيرهما رفع (أي) في اضرب أيثم أفضل، قالوا: ومن قولهما: اضرب أيثم أفضل، وأما غيرهما يقول: اضرب أيثم أفضل. ويقيس ذا الذي وما أشبهه من كلام العرب، ويسأل في ذلك المضاف إلى قول العرب ذلك، يعني أيثم وأجزوا أيثم على القياس، ولو قالت العرب: اضرب أيثم أفضل لقلته.
ولم يكن بد من متابعتهم، ولا ينبغي أن تقتبس على النشاذ المنكر في القياس...

(1) أن معظم ما توصل إليه من تفسير لقوانين العامية كان مرده إلى كثرة الاستعمال، من ذلك ما فسر به "الحذف" في قوله: "ويعذفونه" فيما كثير من كلامهم، لأنهم إلى تخفيض ما أكثروا استعمالهم أوجب أو قوله: "وغيروا هذا لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له تحسو ليس لغيره ما هو مثله، ألا ترى أنك تقول: لم أك، ولا تقول لم أق إذا أردت أقل. . . . فالعرب مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره. (2) أو قوله: "والتخيم حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفاً. واعلم أن التخيم لا يكون إلا في النداء إلا أن يضطر شاعر. وإما كان ذلك في النداء لكثرته في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين، وكما حذفوا الياء من قومي ونحوه في النداء. (3) أن مدرسة الكوفة قد عرفت بأنها مدرسه وصفية، وإن كان ذلك لا ينبغي أن يكون حكما عاما، لأن الأعمال الأولى لدى أمم المدرسين اختلفت فيها الوصف والتفسير. لكن الملاحظ أنه لم تصلنا كتب نحوية متخصصة تنسب إلى رجال الكوفة الأوائل، وإما وصلنا كتب تتناول النحو من خلال الاتصال بالنصوص ككتاب القراء (معاني القرآن) وقد كان هذا الاتجاه حقيقة أن يطبع العمل في أغلبه بطابع الوصف وتخب

283 / 1
394 / 1
21 / 1
329 / 1

58

هـ أن النحاة الأوائل قد كانوا يتناولون الظواهر اللغوية على أساس شكلي، وهو مبدأ من مبادئ النحو الوصفي كما رأينا، ومنذ كتاب سيبويه رأينا مبادأه للتدكير والتأثين والتفكيك والتنكير والإفراد والتثنية والجمع والعلاقة بين الفعل والفاعل والمبعداً والخبير وغير ذلك على أساس الأشكال وليس على أساس المعاني. ولننا نشير هنا إلى جملة من مثل: ضارب زيد عمراً لنعرف أنهم صنعوا الاسم الأول بأنه فاعل، والاسم الثاني بأنه مفعول به، رغم أنها مشتركان في إحداث الفعل، ولكن تحليل الأشكال هو الذي جعلهم يطرحون المعنى عند فهم التراكيب. وقد أصل ابن جني هذا الأصل في غير موضع من كتبه نورد هنا منها ما قاله في باب: الرد على من اعتقاد فلاد النحوين لضعفه هو في نفسه عن إحكام القوة. يقول:

"أعلم أن هذا الموضوع هو الذي يتعسف بأكبر من ترى، وذلك أنه لا يعرف أعراب القوم، فرّي لذلك أن ما أورده من العلة ضعيف واه ساقط غير متعلق."

(1) ابن جني: الخصائص ۲ / ۲۹۳
(2) ابن فارس: الصاحب في فقه اللغة ومن سن العرب في كلا قلما، تحقيق الدكتور مصطفى الشوفي: بيروت ص ۲۰۵.
هـ وهذا كقولهم: يقول النحويون إن الفاعل رفع، والفاعل بـه
نصب، وقد ترى الأمر بـه ذلك، ألا تراها تقول: ضرب زيد. فرفعه وإن كان مفعولاً به، ونقول: إن زيداً قام، فنصبه وإن كان
فاعلاً، ونقول: عجبت من قيام زيد، فنجره وإن كان فاعلاً، ونقول:
أيضاً: قد قال الله عز وجل (ومن حي ثخرجت) فرفع (حديث)
وإن كان بعد حرف الخفض، ومثله عندهم في الشفاعة قوله: عزوجل
(الله الأمم من قبل ومن بعد) وما يجري هذا المجري.

مثل هذا يتعبد مع هذه الطائفة، لا سيما إذا كان السائل عنه من
يلزم الصبر عليه. ولو بدأ الأمر بإحكام الأصل لسقط عنه هذا الموس
ودا اللغو، ألا ترى أنه لو عرف أن الفاعل عند أهل العربية ليس كل
من كان فاعلاً في المعنى، وأن الفاعل عندهم إما هو كل اسم ذكرته
بعد الفعل وأستندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم، وأن الفعال
الواجب في ذلك سواء، لسقط صراع هذا الموضوع المسألة»(1).

وبعد، فهذه أهم الجوانب الوصفية كما أتيناها في أعمال النحوة
الأوائل، وما كان هننا هنا أن تحدد الأصول العامة للمنهج النحوي، فإنها
قد نلقت إلى أن كل جانب من هذه الجوانب حقائق بالدرس المفصل.
وبيقي بعد ذلك ما أشارنا إليه أولاً مما أخذه الوصفيون على النحو العربي
تأثر بمنطق أرسطو، وهو ما نفرد له الفصل التالي.
الفصل الثالث
النحو العربي وأرسطو

لا شك أن أهم ما وجه إلى النحو العربي من فقده أنه متاثر بالمنطق الأرسطي، وهذه الأهمية ترجع إلى أساس من أسس المنهج، وذلك أن منطق أرسطو يهتم بالصور ؛ أكثر من المادة ؛ ودرس اللغة ينبغي أن يركز على المادة لا على الصورة، وتأثير المنطق على النحو يصبح عن درس الواقع اللغوي كما هو، وقد فعل الحديث في صلة النحو العربي بالمنطق معظم من عرض للنحو في العصر الحديث (1). وكتب أرسطو أرى يوماً أننا ينبغي أن نتوقف عن بحث هذه القضية توافق المحدثين انتظاراً للمتابعة أو الاعتبار، وكتب أستند في ذلك إلى التاريخ، لم يؤكد حدوث التقاء في مرحلة النشأة، وهي المرحلة التي ظل فيها منهج النحو، وإلى أن نحن الباحثين اللغويين لم نطلع على آراء أرسطو في ماظنها الأصلية اطلاعاً كافياً، ولم نتوافر لدينا بعد الماده النحوية التي

(1) انظر ما كتبه الدكتور إبراهيم بعوضي مكدور تحت عنوان: (منطق أرسطو والنحو العربي) مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة: عدد 7، ص 328، وقد نشر هذا البحث في سلسلة (إقرأ) دار المعارف العدد 33 سنة 1971 (في اللغة والأدب: ص 41 - 53)، وانظر كذلك الدكتور تمام حسان، مناهج البحث في اللغة - الأنجلو 1955 ص 14 - 29.
تنتشر على هذا المدى الزمني الطويل، لكثرة ما ضاع من أعمال النحاة، وكثرة ما لا يتمال منها في خزائن المخطوطات، ومن ثم فإن أحكام يعنون هذه الصلة قد يكون فيها شيء من التسرع أو الإقبال في التعليم!  ولنكن كلمة حاولت النظر في هذا النحو قوي اعتقاد أن القضية لا ينبغي أن "يعطي فيها باليد" كما يقول القدماء، ولا ينبغي أن يتوقف فيها هذا التوقف لأنها تنتمي بحسب النهج، ومن ثم فإني أعود إلى عرضها هنا من جديد.

ولقد يكون مفيدا أن نقدم القضية بمعالجة عناصرها الأساسية، فنعرض للجانب التاريخي، ثم ما قبل عن رفض النحاة استخدام المنطق، ثم نقارن آراء أرسطو بما قدمه النحاة.

الواقع أن التاريخ لا يقدم شيئاً ما نداً مؤكدا عن اتصال النحاة الأوازي بالمنطق الأرسطي اتصالاً مباشرة، فالروايات عن هذه الفترة مضطربة، لكن اصطلاحاً لا ينفي وجود هذا المنطق في المناخ الذي كان سائداً وقتذاك. ونحن لا نعرف على وجه الدقة أي عرفت أعمال أرسطو طريقها إلى الفكر العربي في مراحله الأولى، والذي تذكره الأبحاث أن العرب اتصلوا بالمنطق الأرسطي من طريقين، الأول ما قدمه النحاة السريان، والثاني ما كنت ترجمته من هذا المنطق إلى العربية.

أما السريان فيقال إنهم ترجموا النحو اليوناني، وأنهم نقلوا إلى لغتهم كثيراً من الكلمات والمصطلحات، وأن يوسيف الأهواري (580 م) أستاذ مدرسة نصرت يعزى إليه ابتداع النقط السببية، تميز بين الكلمات.

(1) انظر كتابنا في اللغة في الكتب العربية ص: 99
المشابة خطأ والمختلفة المعنى وينسب إليه النساطرة ترجمة كتاب "الصناعة النحوية" الذي وضعه عالم الإسكندرية Dionysius Thrax ويقال أيضاً إن أقدم ناحية اليعاقبة في القرن السادس هو آخر ذمه (أخر أنه) الذي كان أسقفاً على تكريت وعلى المشرق (ت 575 م). على أن أهم من ألف في النحو السرياني على نمط النحو اليوناني هو يعقوب الراهاوي (ت 708 م) (1). والدلايل ترجم أن العرب كانو على اتصال بالفكر السرياني في بيئة العراق.

على أن ترجمة المنطقة الأرستطى إلى العربية أكثر أهمية فيما نحن بصدد. وهنا أيضاً نجد شيئاً من الاضطراب في المراحل الأولى، فالروايات تذكر أن عبد الله بن المقعف (ت 139 ه) قد ترجم كتب أرسطو الثلاثة التي في صورة المنطقة وهي كتاب قاطغوريا، وكتاب باري أرميناس وكتاب أرولوطيئاً (2). وقد عرض بول كراوس لهذه الرواية ونفى أن يكون عبد الله بن المقعف هو الذي ترجم هذه الكتب وإنما ابنه محمد، وأثبت أن هذه الكتب ليست ترجمة كتب أرسطو وإنما هي تلحين ص لبعض شروحها (3). والثابت لدى المؤرخين أن ترجمة المنطقة الأرسطى

(1) الدكتور زكية محمد راشد: نشأة النحو عند السريان وتاريخ نجاحه - مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة 16 ص 215
(2) صادق الأندلسي: طبقات الأمم - مطبعة السعادة 79
(3) الدكتور عبد الرحمن بدرى: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية 1946 ص 105 - 119

وانظر أيضا الدكتور عل سامي النصار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام - دار المعارف 1963 ص 1 - 15

٣٨
تمت على يد حنين بن إسحق (ت 264) وطلالله حين نقلاً الأورجانون) كله من اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية، أو من اليونانية إلى العربية مباشرة.

والذي تشير إليه هذه الروايات التاريخية لا يوجد شيء محدد من المنطقة الأرسطية بين يدي خليل وصبيبه ومن عاصرهما من أوائل النحاة إلا أن يكون ذلك الذي قدمه محمد بن المقفع أو أعمال السريان النحوية على افتراض الاطلاع على مناهجها، لكنها أيضاً لا تنتهي وجود شيء ما بين أوليهم، وتبقى بعد ذلك مقارنة النهجين لترجح أحد الاحتمالين:

علي أن هناك جانا آخر نود أن نلقت إليه قبل أن نفرغ من هذا الحديث التاريخي، وهو جانب قد يعين يوما على فهم ما كان بين النحو العربي والنحو اليوناني من صلة؛ فنصدت هنا ما كان من خلاف في الاتجاه بين مدرستين في النحو اليوناني؛ مدرسة الإسكندرية ومدرسة برجامون (في آسيا الصغرى). والمعروف أن هاتين المدرستين كانا Pergamon أشهر ما أسس الإسكندر من حيث النشاط التفافي، وقد عرفت كلاهما الدرس اللغوي وقدمتا فيه إنتاجا معروفا ظل يؤثر على النحو التقليدي في أوروبا قرون طويلة. وكان الخلاف بينهما ناتجا عن اختلاف نظرة كل منهما إلى العالم وإلى انعكاس حركات الطبيعة في اللغة. كان علماء برجامون يذهبون إلى أنه لا توجد قوانين مطردة (analogies) يمكن اكتشافها في الطبيعة، على حين كان علماء الإسكندرية يتبعون القول بأن العالم تحكمه قوانين متناسقة مطردة، فحركات النجوم وانظمته الفصول مثل لا يمكن أن تكون عنقودية (anomalus). أثرت هذه النظرية على
اتجاه المدرستين في درس اللغة فاجهت برجامون اتجاهًا غير قياسيًا. لا يرى في اللغة قواعد مطردة، فاحتملت بالروايات كما هي، واعتمدت كل ما ورد منها، متثرفة بالمبادئ اللغوية التي وضعها الرواقيون. أما الإسكندرية فاجهت اتجاهًا أرسطياً قياسياً، لا يقر إلا ما يمكن أن تحكمه القاعدة المطردة.

واشتهر في المدرستين علماء كبار: كراتس في برجامون CRATES في القرن الثاني قبل الميلاد، وراعاكس في الإسكندرية THRAX في الإسكندرية.

ومع البعد المكاني بين المدرستين، كانت بينهما مناظرات ومسائل خلافية كثيرة. في تفسير الظواهر اللغوية فهل كان العرب على معرفة باتجاه المدرستين خاصة وأن برجامون ليست بعيدة عن بيئة العراق؟ كُن لا تستطيع أن تقرر في ذلك شيئاً إلا بما أشارنا إليه من ترجمة السريان كتاب Phầnاكس في النحو إلى السريانية في القرن السادس. على أن صورة الخلاف بين المدرستين لا ينبغي أن تغيب عن النظر ونحن نفكر في الكوفة والبصرة اللتين كانا الخلاف بينهما مشابهاً للخلاف بين برجامون والإسكندرية(1).

وإذا كان التاريخ لا يقطع بشيء في المراحل الأولى لتأسيس المنهج، فإنه يؤكد اتصال النحاة بالمملكة منذ القرن الثالث. والباحثون الذين يرفضون قضاية تأثير النحو العربي بالمملكة الأرسطية يستندون إلى ما صرح به بعض علماء العربية من رفض المتعلق، وما جرى من مناظرات بين المناطق والنحاة وخاصة في القرن الرابع.

(1) انظر في هذا

Dinneen: An Introduction ... pp. 94 - 79.

النحو العربي - 5
وللحظ هذا الرفض للمنطق من خلال رفض "الفلسفة" عمومًا عند
وأحد مثل ابن فارس الذي ينتهي حسب منهجه في التوقيف إلى أن ما كان
عند الفلاسفة من شعر أو لغة إنما هو مأخوذ عن العرب، فقوله: "وزعم
ناس يرتفع عن قبول أخبارهم أن الذين يسمون الفلاسفة قد كان لهم
إعراب ومؤلفات نحو، قال أحمد بن فارس: وهذا كلام لا يعرف على
مثله، وإنما تشبه القوم آنذاً بأهل الإسلام فأخذوا من كتب علماً،
وغيروا بعض ألقاها، ونسبوا ذلك إلى قوم ذوي أسماء منكرة براجم
بسطة لا يكاد لسان ذا دين ينطق بها، وأدعوا مع ذلك للقوم شعرًا.
وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء، تزور الحلاوة غير مستقيم الوزن. بل الشعر
شعر العرب ديواه وحافظ ما ثورهم ومقيد أحبوبهم. ثم للعرب العروض
التي هي ميزان الشعر، وها يعرف صاحبنا من سقيته، ومن عرف
قائته وأسراره وخبائه علم أنه يربي على جميع ما يبيح به هؤلاء الذين
ينحلون معرفة حقائق الأشياء من الأعداد والمخطوت والنقط التي لا يعرف
ها فائدة، غير أنها مع فائدتها ترق الدين، وتنتج كل مأوعذ بالله منه.

على أن أشهر مناظرة جرت بين النحاة والمنطقة تلك التي كانت بين
منى بن يونس الفيلسوف وأبي سعيد السيرافي النحوي في مجلس الوزير
أبو الفتح الفضل بن جعفر، والقرار، وثلاثمائة وحضره عدد كبير
من أعلام العصر منهم الكئدي، وقادمة بن جعفر، وأبو فراس وغيرهم.

(1) ابن فارس: الصاحب: تحقيق مصطفى الشوقي - مؤسسة بدران - بيروت
1964 ص 77
(2) أبو حيان النيويدي: المقابلات: تحقيق الشهودي - المكتبة التجارية
1948 ص 88

66
ويعرف من تميّ النطق بأنه "آلة من الآلالات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعني من صاحبه كالميزان، فإني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائئ من الجانح" ومن ثمّ يلزم تعليم المنطق "لأنه يبحث عن الأغراض المشتوبة، والمعنى المـدركة، وتصفح للخواص الساـخنة، والسوائل الـناجحة، والناس في المعقولات سواء". فرد أبو سعيد: "إذا كانت الأغراض المشتوبة والمعنى المـدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعية للأسماء والأفعال والحرف، أفليس قد لزمت إضافة إليّ معرفة الـلغة؟" قال: نعم. قال: أخطأت قل في هذا الموضع: بلى، قال مثلي: بلى، أنا أقلكما في مثلك هذا. قال أبو سعيد: فأنت إذن لست تدعوان إلى علم المنطق، بل إلى تعليم اللغة اليونانية. ثم قال له: "أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متغيرة عند أهل العتقـال، فاستخرج أنت معرفة من ناحية منطق أرسطو طاليس الذي تدل به، وبهامي بتجليمه، وهو الراو، وما أحكامه؟ وكيف مواجهة؟ وهل هو عضلي وجه واحد أو وعده، فهبت مثلى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر إليه لأنه لا حاجة بالمنطق إلى النحو، وبالتحوي حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعني، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطق إلى الفحص، وإن عبر الـتحوي بالنمني بالعرض، والمعنى أشرف من الفن مشـاكس، واللفظ أوضح من المعني "قال أبو سعيد: "إذا الخلاف بين النحو والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقبي، وهذا كان اللفظ بائدا على الزمان، يقع أكثر الطبيعة بأنثر آخر من الطبيعة". قال مثلي: "يكفيفي من لتفكّم هذه الاسم والفعل والحرف، فإنني أبلغ بهذا التي إلى أغراض قد هدبتها لي يونان."
والحق أن هذه المناطرة وما شابها ينبغي أن توضع أولا في إطارها من جو المناطرات التي كانت مزدهرة آنذاك، وما يقميه المناطرلون من أسئلة أو إجابات لا يدل بالضرورة على النهج الفعلي لهم، والمناظرة وإن كانت ترفض اعتبار المنطق الأولي وحيدة الضرورة للمعرفة فإنها لا تنتهى إلى رفض الإفادة منه، بل لعل أبا سعيد السيرافي نفسه كان واحداً ممن تشهد أعمالهم النحوية على اتصالهم بهذا المنطق، لكن الذي يليت في المناطرة هو ما أشار إليه أبا سعيد من اعتداد منطق أرسطو على اللغة اليونانية. وكان دعوة مثلى إلى لزومن المنطق وحده دعوة إلى تعلم اليونانية، ولهما مشار إليه أبا سعيد أيضاً من رجوب النزاع الأخلاقي اللغوي، حيثما رأينا من خطيته عند الإجابة عن السؤال المنفى بكلمة «نعم». على أن أهم ما فيها تقرر السيرافي أن المعاني ليست كلياً بين الأم، وإنما لا تعرف إلا بالاستعمال اللغوي، وذلك في إشارته إلى استعمال حرف الراو في كلام العرب، ونائب الاستعمال كما قلنا كان يشمل أصلاً من أصول النحو العربي في جوانبه الوصفية.

وبعد ما قدمناه من حديث التاريخ، وما قبل عن رفض بعض علماء العربية استخدام منطق أرسطو، نأتي إلى العنصر المهم في هذه القضية، ونعني به مقابلة النصوص في النحو والمنطق لجرأ حقيقة الصلاة بينهما... وسوف نلتزم هنا تقديم نصوص أرسطو في أعماله المنطقية كما وردت في الترجمة الإنجليزية الموثقة(1)، وكما وردت في الترجمات العربية القديمة وما.

يقابلها من نصوص نحوية وخاصة عند النحاة الأوائل، ومن كتاب سيبويه هل أحسن الخصوص.

وقد أشارنا إلى أن المحدثين يرون جوانب معينة تصل النحو العربي بمنطق أرسطو، منها فكرة القياس، والتحليل، واستخدام المقولات وغير ذلك، ولكننا قد نرى من المفيد أن نعرض لعناصر محددة تختص بالدرس النحوي اختصاً، نرتيبها على النحو التالي:

1- التعريف.
2- التحليل.
3- آراء أرسطو في بعض ظواهر اللغة.

1- التعريف:

وبدأ في التعريف لأنه قيمة العلم وغاية الفكر عند أرسطو كما يقولون. ويبدو أن أفلاطون كان أول من استخدم منهجًا واضحًا في التعريف يقوم على فكرة «التقسيم»، إنه لكي يصل إلى تعريف شيء ما فإنه يتبع خطوات كثيرة تبدأ بتقسيمه إلى شيئين فرعيين، ويختر منهما واحداً، يقسمه إلى شيئين آخرين حتى يصل إلى معنى الشيء الأول، وأشهر ما قدمه عن تعريفه «الصيد بالنشص»، وما يمكن تصويره على النحو التالي (1):

angling

A acts

of making

of acquiring

by consent  by capture

by open capture  by stealthy capture = hunting

of lifeless things  of living things

of terrestrial animals  of animals living in fluid

of birds  of fishes

fishing by nets  by striking

by nights  by daylight

by a stroke from above  by a stroke from below = angling
وواضح من هذا التقسيم أنه يصل في النهاية إلى تعريف هذا الصيد بأنه: تطلب، بالقنص، الخفي، للأشياء حية، هم حيوانات تعيش في الماء، وهي أسماك، بضيرها، ليلًا، ضربة من أسفل.

وهذا المنهج في التقسيم تطور إلى منهج أكثر وضوحًا عند أرسطو، حين جعل التعريف التام قائماً على الجنس والفصل النوعي، وحين اشترط: 1 - أن يدخل في التعريف عناصر المعرف فقط، 2 - وأن تنظم هذه العناصر في نسق صحيح، 3 - وأن تخرج منه العناصر الأخرى.

«In establishing a definiton by division one should keep three objects in view: (1) the admission only of elements in the definable form, (2) the arrangement of these in the right order, (3) the omission of no such elements.»

على أن النقطة الأساسية في التعريف الأرسطي أنه يهدف إلى الوصول إلى «جوهر» المعروف أو «ما هيته».

«We conclude then that definition is (a) an inademonstrable statement of essential nature, or (b) a syllogism of essential nature differing from demonstration in grammatical form, or (c) the conclusion of a demonstration giving essential nature.

فهذه الطبيعة الجوهرية هي غاية التعرف

essential nature

(1) Posterior Analytics 97 a 22 - 28.
(2) Posterior Analytics 94 a 11 - 14.

٧١
الأرسطيو إذن، والوصول إليها يقتضي أن يصاغ التعريف في عبارة تحمل معنى هذا الجوهير، أو كما يقول هو إن التعريف هو (1) :

«A phrase, signifying a thing's essence. It is rendered in the form either of a phrase in lieu of a term, or of a phrase in lieu of another phrase; for it is sometimes possible to define the meaning of a phrase as well».

وهو المنهج الأرسطي في التعريف ظل يؤثر في الفكر اللغوي في الغرب قرونًا طويلة. بل إن التعريف اعتبار أفضل وسيلة أو لعله الوسيلة الوحيدة لتقرير المعنى، ووجد التعريف بالتقييم تطبيقًا واسعًا في عمل المعجم (2) .

وتأتي الآن إلى "التعريف" عند نحاة العربية، وأول ما ننتمي إليه عند النظر فيه أن النحاة الأوائل الذين تأسس عنهم منهج النحو لم يطبقوا التعريف الأرسطي، ولا تظهر من كتباؤهم أنهم كانوا على معرفة قوية به. وكتاب سيبويه يكاد يخلو من التعريف على وجه العموم، فهو مثلاً لم يعرف الفاعل ولا الحال ولابدل ولا غير ذلك من أباب النحو، وهو يكتفي في الأغلب 그것 بذكر اسم الباء ثم يبدأ مباشرة في عرض التواعد المستخلصة من الاستعمال، فقوله مثلاً: "هذا باب الفاعل الذي يتعاداه فعله إلى مفعوله، وذلك قوله ضرب عبد الله زيداً، فعبد الله ارتفع.

(1) Topics 101 b, 102 a.
هنا كما ارتفع في ذهب . "(1) أو يقول : "اعلم أن النداء كـ كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إظهار الفعل المتروك إظهاره ، والفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب (2) ."

ومن النادر جدا أن نجد عنه تعرفاً كالتعرف الذي قدمه عن الفعل بأنه " أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبيئته لما مضى ، ولمـ يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع . " وإما جل تعرفاته تقوم على التمثيل كقوله " الاسم : رجل ، وفرس ، وحائط ، " (3) وأو تميز المعروف بشيء من خواصه كقوله : " والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد وذلك تخو رددت واجـ رت وانقـ ددت و استعـ ددت . "(4) ."

وهكذا فإن كتابه كله على شموله لا يخرج عن هذه الأمثلة من التعرف ، وهو دليل على أنه لم يطبق المنهج الأرسطي فيه وقد يكون دليلاً على أنه لم يعرف هذا الأصل في المنهج الأرسطي معرفة كان من الجائز أن يبدو له أثر في الكتاب قبولاً أو رفضاً .

إذا تركنما سببناه في القرن الثاني إلى المبدر في القرن الثالث فإنـا لا نجد إلا تطوراً هيناً في التعرف ، وهو يكاد يلتزم طريقة سببناه من

(1) الكتاب 1 / 14
(2) 203 / 1
(3) 1 / 2
(4) 158 / 1
حيث تقديم المعرف بالاستناد إلى أحكامه، ودوره في الاستعمال والتمثيل له. فالفاعل رفع وذلك قولك: قام عبدالله، وجلس زيد(1). والإمالة: "أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعنة تدعولي (2)." ويقول عن النسب: "أعلم أنك إذا نسبت رجلا إلى حي أو بلد أو غير ذلك ألحقت الاسم الذي نسبته إليه ياء شديدة، ولم تخففها لئلا يلبس ياء الإضافة التي هي اسم المتكلم. وذلك قولك: "هذا رجل قبسي ويكري، وكذلك كل ما نسبته إليه". (3) وقال يزيد على تعريف سيبويه شيئاً كأن يقول: "أما الأسماء فيما كان واقعاً على معي، نحو: رجل، وفرس، وزيد، وعمرو، وما أشبه ذلك".(4)

ومعنى ذلك أننا لا نزال أيضاً بعيدين عن التأثر بالتعريف الأرسطي رغم دخول المنطق إلى الفكر الإسلامي في هذا الوقت على وجه التأكيد، ولكن تأثير سيبويه كان لا يزال عظيمًا، وكان الالتزام به أمراً يُسَكَّد يصل إلى درجة الوجوب.

فإذا انتقلنا إلى القرن الرابع وجدنا الأمر يختلف اختلافاً كبيراً. وتأكد اتصال النحاة بالمنطق الأرسطي، وينهجون في التعريف. وليس مهما أن يكونوا قد طقوه في تعريفاتهم، وإنما المهم أن وجودهم بين

(1) المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الحليم عضماة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة 1286هـ 1405ـ.
(2) 42 / 133.
(3) 1 / 4.
(4) 74.
أبديهم أفضلاً بهم إلى مناقشته مناقشة واعدة نتج عنها اختيار طريقة أخرى
في التعريـف. وأعل الزجاجي (376هـ) خير من يمثل هذا الاتجاه، فانحو
عندته أولاً علم قياسي ومسبار لأكثر العلوم لا يقبل إلا براهين
وحجج (1). و الحد هو الدال على حقيقة الشيء (2). وهذا يتفق مع
التعريف الأرسطي في الوصول إلى "الماهية"، لكنه حين يبدأ في تطبيقه
بلجأ مرة أخرى إلى الاستعمال اللغوي مقررًا رفض التعريف المنطقي
فبقول:

"الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيز
الفعل والفعل به. هذا الحد داخل في مقاييس النحو وأوضاعه ليس
بخرج عنه اسم أثبات، ولا يدخل فيه ما ليس باسم. وإنما قلنا في كلام
العرب لأننا نقصد، وعليه نتكلم، وإن لمطقين وبعض النحويين
قد حدها حدا خارجاً عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع
دال باتفاق على معنى غير مقرن بزمان، وليس هذا من ألفاظ النحويين
ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المطقيين وإن كان قد تعلق به جماعة
من النحويين، وهو صحيح على أوضاع المطقيين ومذهبهم لأن غرضهم
غير غرضنا، ومعناهم غير مغزنا وهو عندنا على أوضاع النحو غير
صحيح، لأنه يلزم منه أن يكون كثير من الحروف أسماء، لأن من
الحروف ما يدل على معنى دلالة غير مقرونة بزمان، نحو إن ولكن وما
ائية ذلك (3)."

(1) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو - تحقيق الدكتور مازن المبارك - دار
ائيت نسائس، بيروت ص 1973 ص 41
(2) السابق ص 46
(3) السابق ص 48
الحديد في هذا أنه أولاً يستخدم النظام الرسطي في أن يكون
التعريف جامعاً لعناصر المعروف وحده مانعاً لغيرها من العناصر، أو بعبارة:
ليس يخرج عنه اسم أبتة، ولا يدخل فيه ما ليس باسم». وأنه ثانياً
يؤكد على الفرق بين الحد المنطقي الموصل إلى «الجرير» والحد النحوي
المنبلى على دوران استعمال اللغة بحيث يتميز الشيء من غيره في
التعريف.

وبعد القرن الرابع سيطر التعرف الرستي على كتاب النحاة، وتمثل
لذلك بمثال من الوعرشي في القرن السادس في كتاب المفصل، ومن
شرح ابن بيشة عليه في القرن السابع.

يقول الزمخشى: "الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع،
وهي جنس تحت ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف" وينبغي أن نرى
شارحاً: "أعلم أنهم إذا أرادوا الدلالة على حقيقة شيء، تميزاه من غيره
تميزاً ذاتيا حذو سجاح لم الغرض المطلوب وقد حد صاحب الكتاب
الفكرة بما ذكر، وهذه طريقه الحدود، لأن يفتي بالجنس القريب ثم
يرفع به جميع الفصول، والجنس يدل على جوهر المحدود دلالة عامة،
والجنس القريب منه أدل على حقيقة المحدود لأنه يتضمن ما فوقه من الذاتيات
العامة، والفصل يدل على جوهر المحدود دلالة خاصة. فالنظرية
جنس. والدلالة على معنى فصل فصله من المهمل الذي لا يدل عل
معنى. واللفرق فصل ثان فصله من المركب (1). ومن الواضح أن
هذا لا يختلف عن التعرف الرستي في شيء.

وبعد فلعل هذا الورع يوجس أن سبب أنه لم يتصل بالتعريف كـ

(1) ابن بيشة: شرح المفصل 1 / 18

٧٦
ورد عند أفلاطون أو كما في منطق أرسطو، ومن ثم لم يظهر له تأثير في كتابه قبولاً أو رفضاً، وأن النحاة حين اتصلوا بالمنطق في القرن الرابع حاولوا أن يقدموا شيئاً جديداً في نظرية التعريف بالاستناد إلى الاستعمال اللغوي. ويدعو أن النحاة قد أثروا في ذلك بالفقهاء والكلاميين الذين رأوا استحالة الوصول إلى «الخواز» وأن التعريف ينبغي أن يقصر علـٍ التمييز (1). لكن التعريف الأرسطي ما لبث أن وجه التعريف النحوي كما رأينا في القرون التالية.

---

2- التحليل:

هو عنصر أساسي من عناصر المنهج الأرسطي، وهو يرتبط عنده بالمعرفة عموماً، وبالتعريف كما عرضنا آنفاً. وكان أفلاطون من قبله يرى «المعرفة» ثابتة، لأنها لو تغيرت لا تمكنت بحسب حدوث التغيير، ولو كان التغيير فيها مستمراً لأن لم تلعمت المعرفة انعداماً كاملاً (2).

"But if the very nature of knowledge changes at the time when the change occurs, there will be no knowledge; and if the transition is always going on, there will be no knowledge".

وقد كان أرسطو يرى أيضاً أن المعرفة مطلقة، مستمرة، وغير...

---

(1) انظر في هذا ما كتبه الدكتور الباحث عن "منطق الأصوليين"، صحح الجمل الأصولي، ص 89-101 من كتابه مناهج البحث عند مفكري الإسلام.

(2) Cratylus, 440 from: Dixon, what is Language p. 27.
We suppose ourselves to possess unqualified scientific knowledge of a thing, as opposed to knowing it in the accidental way in which the sophist knows when we think that we know the cause on which the fact depends, as the cause of that fact and of no other, and, further — that the fact could not be other than it is.

Since definition is said to be the statement of a thing's nature, obviously one kind of definition will be a statement of the meaning of the name; or of an equivalent nominal formula ... another kind of definition is a formula exhibiting the cause of a thing's existence.

(1) Posterier Analytics, 71 b. 8-15.
(2) Ibid; 93 b.
غير أننا لا ينبغي أن نغلق على أن هذه "العلة" التي ترتبط بالعقلية
إذا تدرج في السياق العام للنظرية الأرسطية، وهي نظرية كما أكدنا
بحث في "الزبهرة" وليس في "المادة"، لأن الأفكار الحساسة لا
تدخل في مجال المعرفة، ومن ثم فهي ليست داخلة في المنطقي. إن التجربة
العقلية هي أساس المنطق، ولما كانت الكلمات المتمطقة رموزا للتجربة
العقلية، والكلمات رموزا للكلمات المتمطقة، ولما كان الناس جميعا لا
يكتبون كتابة واحدة، فإنهم أيضا لا ينطقون أصواتا واحدة، ومكن
التجارب العقلية واحدة عندنا جميعا، ومن ثم فهي مقصود المنطقي، والتعليم
إذا بدور في مجاهلة.

"Spoken words are the symbols of mental experience and written
words are the symbols of spoken words. Just as all men have
not the same writing, so all men have not the same speech
sounds, but the mental experience which these directly symbo-
elize, are the same for all, also are those things of which our ex-
periences are the images". (1)

(1) On Interpretation, 16 a 4 - 5.

(2) انظر الدكتور يوسف كرم: الفلاسفه اليونانية – القاهرة ص 1958 138
والآن ماذا عن التحليل عند النحايا؟

الحق أن «التحليل» يمثل عنصرًا أساسيًا في الدرس النحوي عند العرب، وإذا كان «التعريف» لم يظهر ظهورًا واضحًا في المراحل الباكرة، فإن التحليل كان من الأصول الأولي، وقد ظل يتطور حتى غلب على الفكر النحوي كله.

وقد عرف النحايا الأوائل بأنهم «معلمون»، وتذكر الروايات أن ابن أبي اسحق هو «أول من برز النحو ومد القياس وشرح العلل» (1). ويكد كتاب سيبويه أن يكون مهنيًا كله على التحليل، والخوار الذي يجري فيه داومًا بينه وبين أسمائه الخليل يبدأ في الأغلب الأعم بالسؤال عن العلل، على أن هذه العلل لا تذهب بعيدًا وراء التفسير المباشر وتكاد تتمثل في تحليل الظواهر التركيبة بالرجوع إلى المعنى، أو بتفصيل الشكل التركبي نفسه، أو بكرة الاستعمال.

ومن التحليل بالممعن قوله «قالوا مصاحب معان»، ومببور مأجور كأنه قال: أنتم مصاحب، وأنتم مببور، فإذا رفعت هذه الأشياء فالذي في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت ذلك في نفسك غير ما أظهرت، وهو الفعل، والذي أظهرته الاسم، وأما قوله: راشدا مهديا، فإنهم أضروا: أذهب راشدا مهديا، وإن شئت رفعت كما رفعت مصاحب معان، ولكن كثر النصب في كلامهم لأن راشدا مهديا بهمنه ما صار بدلاً من اللفظ بالفعل لأنه لفظ برشدت وهديت. وهمه هنينًا مريثا.

(1) أثناء الرىاء 2 / 105
وإن شئت نصبت فقلت مبرورا مأجورا، ومصاحبا معانا، حدثنا بذلك عن العرب عيسى ويونس وغيرهم كأنه قال رجعت مبرورا واذهب مصاحبا. وما ينصب أيضا على إضمار الفعل المستعمل إظهاره قول العرب: حدث فلان بكذا فتقول: صادقا والله، أو أنشدك شعرا، فتقول: صادقا والله، أي قال والله، أي قائله صادقا، لأنك إذا أنشدك فكانه قد قال كذا.

ومن الواضح أنه يعلل هذه التركيب بما في النفس: لأنك إذا رفعت هذه الأشياء فالذي في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت.

ومن التعليق القائم على فهم قوانين التركيب في الجملة، أي على قواعد النظم كما أدرك استعمالها في العربية، قوله في باب النداء:


(1) الكتب 1 / 137

النحو العربي - 681
الطويل، قال هو صفة للمرفع. قلت: ألسنت قد زعمت أن هذًا المرفع في موضع نصب فلم لا يكون كقوله: لقيته أمس. الأحدث، قال: من قبَّل أن كل اسم مفرد في النداء مرفع أبدا، وليس كل اسم في موضع أمس يكون مرفوعاً. (1)

وواضح هنا أيضاً أن تعليل نصب المنادي المضاف أو النكرة المصوقة بقوله «حين طال الكلام» إنما هو تعليل بقوانين التركيب، يعني أن درس التراكيب العربية جعله يرى طول الكلام علة لظاهرة النصب، حين نعلم أنهم انتهى إلى أن النصب أخف من الرفع، وأن النقل لا يسوع مع الطول.

أما كثرة الاستعمال فكان يكون المقياس الأغلب الذي يقوم عليه التعليل في كثير من الظواهر، وبخاصة في ظواهر التخفيف والخفيف والاستغناء والترقيق وغيرها. يقول مثلا: «هذا باب ما ينصب على إضمار الفعل المتر وكإظهاره في غير الأمر والنهى. وذلك قوله: أخذته بذرهم فصاغدا، وأخذته بذرهم فرائدا، حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه، ولأنهم آمنوا أن يكون على الباء، لو قلت: أخذته بصاعد كان فيهما، لأنه صفة ولا تكون في موضع الاسم، كان أنه قال: أخذته بصاعد، بذرهم فراد الثمن صاغدا، أو فذبه بصاعد. (2) ويقول: «وأعلم أنه لا يجوز لك أن تنادي اسمًا فيه الألف واللام البينة إلا أنهم قد قالوا: يا الله اغفر لنا، وذلك من قبل أنه يلزم الألف واللام لا يفارقانه، وكثير في كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه ينزلة الألف واللام التي.

(1) 202/1
(2) 142/1
من نفس الكلمة… وليس النجم والدّ بران بهذه المنزلة لأن هذه الأشياء واللام فيها ينتمونها في الصغيق، وهي في (الله) بمزلة شيء غير منفصل في الكلمة، كما كانت الهاء في الحجاجحة بدلاً من اليا، وكما كانت الألف في (يمن) بدلاً من اليا، وغيرها هذا لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو وليس لغيره مما هو مثله، ألا ترى أنك تقول: لم أكن ولا تقول: لم أقّ، إذا أردت (أقل)، وتقول: لا أدر، كما تقول هذا فاضق، وتقول لم أبل ولا تقول لم أرم في لم أرم، فالعرب

ما يعبرون الأكبر في كلامهم عن حال نظائره. 

من الملاحظ إذن أن هذا المنهج جمع التعليل بالمعنى إلى التعليل بقوانين التركيب إلى التعليل بكثرة الاستعمال، ومهما يكن من أمر ذلك كله فإن التعليل يشكل أصلا أساسيا من أصول البحث النحوي عند الأواتيل وبخاصة عند الخليل وسبيبه. ومن بعدما أخذ هذا المنهج يتطور شيئاً فشيئاً متصلباً بالتعليل الأرسطي من ناحية وبالتعليل الكلاسيكي والفقهي من ناحية أخرى حتى صار التعليل غاية من غايات الدروس النحوية، وجعل النحاة يقصدون إلى التأليف في العلل النحوية تأليفاً خاصا - ففي القرن الرابع رأينا ابن السراج في كتاب الأصول يذكر أن "اعتلالات التحويين على ضربين: ضرب منها هو المهدى إلى كلام العرب، هكنا كل فأصل مرفوع، وضرب آخر يسمى علة العلة مثل أن يقولوا: لم إذا تحركت اليا والوا وكان ما قبلهما مفتوعاً قبّت ألفاً، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلموا كما تكلمت العرب."

---

(1) 27 / 1

(2) ابن السراج: الأصول - تحقيق الدكتور عبد الحليم القيث - بغداد 1973

83
ويمؤلف الزجاجي (373 هـ) كتاب الإيضاح في علل النحو يقسمها ثلاثة أضرب: علل تعليمية، علل قياسية، وعقل جدلية. فرأى التعليمية فهي التي يتواصل بها إلى تعلم كلام العرب، لأننا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلماتها منها لفظاً، وإنما سمعنا بعضًا فقسنا عليه نظيره، مثل ذلك أنا لما سمعنا: قام زيد فهو قائم، وركب فهو راكب، عرفنا اسم الفاعل فقلنا ذهب فهو ذهب وأكل فهو آكل وما أشبه ذلك. وهذا كثير جداً. وأما العلة القياسية فإن يقال: لم قال نصبت زيداً فإن قوله إن زيداً قائم: ولم يجب أن ننصب (إن) الاسم؟ فالحوارب في ذلك أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدد إلى مفعول، فجعلت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته، فالنصوب بها مشبه بالفعل لفظاً والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً، فهي تشبه من الأعمال ما قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب أخاك، وما أشبه ذلك. ومحمد وأما العلة الجدلية فكل ما يعتله به في باب ( إن) بعد هذا، مثل أن يقال: فمن أي جهة شبهت هذه الحروف الفاعل؟ وبأي الأفعال شبهتهما؟ أبالماضية، أم المستقبلة؟ أم الحادثة في الحال، أم المرافقة، أم المتنقضة، بلا مهلة؟ وحين شبهتهما بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب زيدا عمرو، وهلا شبهتهمها بما قدم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل، وذلك فرع ثان؟. وكل شيء اعتله به المسؤول جواباً.

وفي هذا القرن أيضاً ترسخ العلة رسوخاً كاملاً في النظر النحوي.

وذلك بما قدمه ابن جين من شرح للعلل النحوية وتأصيلها وببان ضروبها.

وقد تحولت عنه إلى شيء يجب الاحتفال به والدفاع عنه، بل ينتهي به

(1) الإيضاح: 64 - 66

84
الأمر إلى أن البحث في العلل إذا يعني كشف ما أرادته العرب منها فعلاً، فيعقد باباً في أن العرب قد أرادوا من العلل والأغراض ما نسياه إليها، وحملتاه عليها. يقول فيه: "أعلم أن هذا موضوع في تثبيته ومكينسه منفعة ظاهرة، ولنفسه مسكة وعصم، لأن فيه تصحيح ما ندعيه عليهم العرب. من أنها أرادت كذا لكذا، وفعلت كذا لكذا. وهو أحرم لها، وأجمل بها، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلفته ما تكلفته، من استمرارها على وثيقة واحدة، وتقربها مهنجاً واحدة، تراعي وتلاحظه، وتحمل لذلك مشاقة وكفته، وتتعذر من تقدير إن جرى وقتاً منها في شيء منه.

وليس يجوز أن يكون ذلك كله في كل لغة لهم، وعند كل قوم منهم، حتى لا يختلف ولا يتنقص، ولا يتهاجر، على كثرتهم، وسعة بلادهم، وطول عهد زمان هذه اللغة لهم، وتصرفها على ألسنتهم اتفاقاً وقع، حتى لم يختلف فيه أثناً، ولا تنازعه فريقان، إلا وهم لم ي рядون وسباقه على أوضاعهم فيه معنيون، ألا ترى إلى اطراد رفع الفاعل ونصب المفعول، والحرف بحروف الجر، والنصب بحروفه، والجزم بحروفه، وغير ذلك من حديث النثائية والجمع، والإضافة والنسب، والتحقيق، وما يطول شرحه، فهل يحسن بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع وتوارد منه.

وعلى كثرة ما كتب ابن جني في موضوع العلل، فإن أهم ما أصله فيها هو تقريره أن العلة النحوية علة طبيعية حاسية، أي تقوم على فهم

(1) الخصائص 1 / ٢٣٧

٨٥
الأسباب المادية في اللغة ، ومعنى ذلك أنها ليست علة ميتافيزيقية ، كما أنها ليست صادرة عن بحث الأجوهر أو الماهية ، إنها نتيجة للاستقراء اللغوي الذي ينتهي إلى وجود علل يمكن التماسها وتحديدها في الاستعمال، ومن ثم كانت مقارنتها المعروفة علل النحو بعلل الكلام واللغة ، والسعي انتمى فيها - من خلال عرض كثير من الظواهر اللغوية - إلى أن علل النحو قريبة من علل الكلام . ولستنا نظن أن هذه النتيجة التي انتمى إليها كان يعني بها أن علل النحو علقة عقلية تجريدية ، وإنما ترجع الأصلة بينهما إلى ما وجدته هو من اطراد العلة النحوية وصدرها عن المادة المحسوبة بحيث نبت عند النظر بثوث البراهين العقلية أو البراهين الهندسية . ولقد يكون مفيدا أن نبت هنا بعض ما قاله في هذا الموضع لنبرز ما كان يلح عليه هو من الرجوع إلى الطبيعة والحس ، يقول (1) :

علم أن علل التحويلين - أعني بذلك دذاةهم المتقنين ، لألفاقهم المستضفيين - أقرب إلى علل التكلميين ، منها إلى علل التفقهين ، وذلك أنهم إذا يحيلون على الحس ، فيتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه . وذلك أنها إذا هي أعلام ، وأمارات لوقوع الأحكام ، ووجه الحكمة فيها خفية عنا ، غير بادية الصفة لنا - ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج ، وفرائض الطهور ، والصلاة ، والطلاق ، وغير ذلك إذا يرجع في وجوبه إلى دور الأمر بعمله ، ولا تعرف علة جعل الصلاوات في اليوم والليلة خمسا دون غيرها من العدد ، ولا يعلم أيضا حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات ، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، ولا تعلل

(1) الأخصائي 1 / 48 - 48 - 108
86
النفس بعرفة السبب الذي كان له ومن أجله، وليس كذلك علل
الحويين.

قال أبو إسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول: إنما فعل ذلك
فرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال: فإن قيل: فهلا عُكست الحبال
فكانت فرقة أيضاً؟ قيل: الذي فعله أحزم، وذلك أن الفعل لا يكون
له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل
لفله، ونصب المفعول لكثرة، وذلك ليقل في كلامهم ما يستسلمون
ويمكن في كلامهم ما يستخفون. ومن ذلك قولهم: إن ياء نحو ميزان،
وعداد، انتقلت عن واواسكاة، لثلث الراوا الساكنة بعد الكسرة، وهذا
أمر لا ليس في معرفته، ولا شك في قوة الكلفة في النطق به. وكذلك
قلب الباء في موسر وموقن واوا، لسكونها وانضمام ما قبلها. ولانوقف
في ثقل الباء الساكنة بعد الكسرة، وهذا - كما تراه - أمر يدعو الحس
إليه، ويحدو طلب الاستخفاف عليه. وإذا كانت الحال الأخوذ بها،
المصير بالقياس إليها حسب طبيعية، فناهيك بها ولا معدل بك عنها...
ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجود الأعراب إلا والنفس تقبله والحس
منظر على الاعتراف به. . . . فجمع علل النحو إذن مواطنة للطبعاً...
وإذا حكمنا بهبنة العقل، وترافعنا إلى الطبيعة والحس، فقد وفينا الصناعة
حقها، وربأنا بها أفرع مشارفها... واعلم أننا مع ما شرحنا وثبتنا به
فأوضحنا من ترجيح علل النحو على علل الفقه، وإلحاقا بعلل الكلام
لا ندعى أنها تبلغ قدر علل المتكلمين، ولا عليها براهين المهتمين.

وهذه النقول على طولها واضحة الدلالة فيما نقصد إليه من أن العلة
قد استقرت أصلاً من الأصول النحوية في القرن الرابع، وأنها كانت
تُلتمس فيما يدخل في دائرة الطبيعة والحس. ولكن ذلك لم يكن أن

(1) الخصائص ٤٩ وما بعدها. ٨٧
تعدى العلة هذه الحدود انتمخى في عالم الافتراض والتخييم والميتافيزيقاً
حتى تصل إلى مرتبة من الضعف يقول فيها الشاعر :
تربو بطرف ساحر فاتر
اضعف من حجة نحوي
ولكن مهما يكن من أمر هذا التطور المتاخر فإنه كان نتيجة لـ
رأى المتاخرون من منزلة التعليل عند الأوائل.

ولقد يكون للمسلمين اتجاه خاص في العلة كما يقول أصحاب البحث
في الفكر الإسلامي (1)، لكن ذلك لا يجيب حقيقة التأثر بالتعليل الأرسطي
وليس مهما أن يكون تعليل النحاة هو تعليل أرسطو، ولكن المهم أنه
كان في أيديهم وتحت بصرهم حين أخذوا يتناولون ظواهر اللغة ويبضعون
ها الأحكام.


3 - بعض آراء أرسطو في اللغة :
وتأتي إلى آراء أرسطو في اللغة، ونقابلها بآراء النحاة، فتعبر
لأقسام الكلام، وللجملة.

(1) انظر ما كتبه الدكتور النجار تحت عنوان (سياحة الاستدلال الإسلامية) في
منافذ البحث عند مفكرى الإسلام في 103 - 127

88
(1) أقسام الكلام:

يكاد يتوارِر بين الدارسين أن أرسطو - قسم الكلام ثلاثة أقسام، اسم وفعل، ورابطة. ولكن الحق أن أرسطو لم يتناول أقسام الكلام تناولا مباشرا، ولم يعرض له في موضع واحد بحيث يقال إنه كان يقصد rhéma و onoma إلى تقنين هذا التقسيم. لقد عرض أرسطو للاسم في كتابه "العبارة" كما سأتفقنا، ثم تحدث عنها وعن أشياء أو شيء من ينها يستمد الرابطة في "البلاغة"، "والشعر". وكان syndesmoz من قبله قد فرق بين الاسم وفعل فحسب، ولا يعرف لم اسم اشتهار التقسيم الثلاثي بأنه أرسطو إلا أن يكون ما قرره المتاخرون من نوعية العربية من أن هذا التقسيم "عقل" مما رجح الظن بأرسطو، ثم انتهى الظن إلى شيء من الحقائق المتأثرة.

ونشر هنا إلى أن هذا التقسيم لم يستمر في الدرس اليوناني، فقد قسم عالم النحو السكندرى ثراكس الكلام ثمانية أقسام. 

1 — The noun  2 — The verb 
3 — The participle  4 — The article 
5 — The pronoun  6 — The preposition 
7 — The adverb  8 — The Conjunction 

أما النحو العربي فقد استمر منذ سيبويه على القسمة الثلاثية، وإن

(1) Dixon: What is Language, p. 43.
كان لم يرد في الكتاب ما يشير صراحة إلى الأصل "العقلى" لهذه القسمة
فقال: "الكلام اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

ولقد نجد عنه من التصوص ما يفيد إدراكه وجود فرق بين الصفة
والاسم على نحو ما أشارنا إليه عند تناوله لجملة (أختته بدرهم فصاعدا)
حين يقول: "حذفوا الفعل لكسرة استعمالهم إليه، ولأنهم آمنوا أن
يكون على الباء، لو قلت: أختته بصاعد كان قبيحاً، لأنه صفة ولا
تكون موضع الاسم". (1) ولكن ذلك لم يفض به إلى تغيير القسمة
الثلاثية.

وفي القرن الثالث صرح المبرد بهذا الأصل "العقلى" باعتبار القسمة
كلية "لا تخجل عنها لغة من اللغات حين قال: "الكلام كله اسم،
وفعل، وحرف جاء لمعنى لا يخلو منه الكلام - عربياً كان أو أعمياً -
من هذه الثلاثة". (2) ولم تتغير هذه الفكرة بعد ذلك في تاريخ النحو العربي
كله، وليس مهما هنا "تريوه الكتب من تسمية الكوفيين القسم الثالث
أداة لأن ذلك لا يضيف إلى القسمة شيئاً.

ولكن لا نستطيع أن نرد هذا التقسيم في النحو العربي إلى المنطق
الأرسطى نفسه، ولكننا قد نرجع ردنا إلى فهمهم لهم ما كان بين
أيديهم وما نقل عن أرسطو، وضاف إلى ذلك ما تأكد من بناء التقسيم في

(1) الكتاب 1 / 2
(2) المقترض 1 / 3
(3) الكتاب 1 / 146

90
ELEATIC: ... You are, of course, aware that we have two sorts of vocal expression significant of being.

THEATETUS: which are?

ELEATIC: Nouns as they are called, and verbs.

THEAETETUS: Would you explain the difference?

ELEATIC: A sign expressive of an action is what we call a verb.

THEAETETUS: Yes.

ELEATIC: And a vocal sign appropriated to the agent of such an action is a noun.

THEAETETUS: Exactly.

(1) Sophist 261 - 2 from Dixon: What is Language p. 31.

(2) On Interpretation 6 a.
By a noun we mean a sound significant by convention, which has no reference to time, and of which no part is significant apart from the rest."

«The expression (not - man) is not a noun.»

والترجمة العربية القديمة لكتاب "العبارة", التي قام بها إسحق بن حنين لا تختلف كثيرا عن الترجمة الإنجليزية الحديثة وقد ورد فيها:

فلا اسم هو لفظة دالة بتوطع، مجرد من الزمن، وليس واحد من أجزاءها دالا على انفراده. وذلك أن في ليس إذا أفرد معه (ابس) لم يدل بانفراده على شيء كما يدل في قولك (قولوس ايس) ، أي: فرس فاره. . وأما قوله (لا - إنسان) فيليس باسم، ولا وضع له أيضا اسم ينبغي أن يسمى به، وذلك أنه ليس يقول ولا قضية سالفة، فيليس اسمًا غير محصل. فأما الاسم إذا نصب أو خفض أو غير تغييرا مما أشبه ذلك فيليس يكون اسمًا، لكن تصريفا من تصاريف الاسم.»

(1) Ibid 16 a.

(2) أرسلو كتاب العبارة - نقل إسحق بن حنين في كتاب: منطق أرسلو، تحقيق عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة المصرية، 190 / 41

92
وفي النحو العربي عرف سبب وسبيحة الاسم بالتمثيل فقال: «فالاسم رجل، وفرس، وحائط» (1). على أن هذا التمثيل ليس بعيدا جدا عن كتابات أرسطو، لأن لغظي «إنسان» و «فرس» من الألفاظ التي استعملها دائما عند تقديمه الأمثلة (2).

وفي القرن الثالث صرح المبرد بدلالة الاسم على معنى مسمى توضيح علاماته: «أما الأسماء فما كان واقعا على معنى، نحو رجل، وفرس، وزيد وعمرو، وما أشبه ذلك. وتعتبر الأسماء بواحدة، كل ما دخل عليه خروج الجرف فهو اسم، وإن اسنت من ذلك ليس باسم (3).» وفي القرن الرابع عرفه ابن السراج بأنه «ما جاز أن يعبر عنه نحو: عمرو منطلق ورجل في الدار» (4)، وعرفه الزجاجي تعريفا تجريبا عن طريق استعماله في التراكيب «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول به» (5).

وفي القرون المتأخرة نجد تعريف الاسم مشتملا على فكرة عدم الدلالة على الزمن، يقول الزجاجي: الاسم مدل على معنى في نفسه دلالة محررة.

(1) الكتب 1/ 4.
(2) انظر مثلا كتاب المقولات - نقل إسحاق بن قنين في كتاب أرسطو 1/ 44. وما بعدها.
(3) المقتضب 1/ 3.
(4) ابن السراج: الموجز في النحو ص 27.
(5) الإيضاح ص 46.

93
عن الاقتران (1)، ثم انتهى الأمر إلى أن يكون التعرف أرسطيا خاصا، فالاسم أولا كلمة قول مفرد، والمفرد ما لا يدل جزءه على جزء معناه، وهو ثانيا "مادله على معنى في نفسه غير مقرر بأحد الأرمست الثلاثة. " (2)

ومن الواضح أن تناول أرسطو للاسم لم يرد عند النحاة الأوائل، وإن كان تعريف ابن السراج يقترب من اعتبار الاسم المرفوع وحده اسمًا وذلك حين قرر أنه "ما جاز أن تغير عنه"، على أن سيبويه والنحاة جميعا من بعده تناولوا الاسم في منهج وصفي ويتخلى مكانه في الاستعمال اللغوي.

وقد نضيف هنا أن النحاة كانوا يرون الاسم أقوى الأقسام الثلاثة، يقول سيبويه: "والاسم أبدا له من القوة ما ليس لغيره"، ويقول ابن جني: "اعتماد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القبل الثلاثة، ولا بد لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل، فلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة على ما لا خفاء به، فما هو بمعنى يكتفي بها" مما هو نال لها، ومحمول في الحاجة إليه عليها. (3)

(1) شرح المفصل 1 / 26
(2) ابن همام: شرح شذور الذهب - تحقيق محمد عمرو الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية 1960 ص 11 12
(3) الكتب 2 / 43
(4) المصاحص 1 / 41

94
A verb is that which, in addition to its proper meaning, carries with it the notion of time. No part of it has any independent meaning and it is a sign of something said of something else.

He was healthy, he will be healthy, are not verbs but tenses of a verb.

(1) On Interpretation 16 a.

(2) Ibid.
الحاضر - والكلمة دائما دليل ما يقال على غيره ، كأنك قلت ما يقال على الموضوع أو ما يقال في الموضوع .

» وأما قولنا ( لاصح ) ، أو قولنا ( لا مرض ) فلست أسمية كلمة فإنه وإن كان يدل ، مع ما يدل عليه ، على زمان ، فكان أيضا دالا دائما على شيء إذا أنه ليس لهذا الصنف اسم موضوع فلتسم كلمة غير محبطة وذلك أنها تقال على شيء من الأشياء موجودا كان أو غير موجود على مثال واحد . وعلى هذا المثال قولنا ( صحح ) الذي يدل على زمان المضي ، أو ( يصح ) الذي يدل به على الزمان المستأنف ، ليس بكلمة ، لكن تصرف من تصرف الكلمة . والفرق بين هذين وبين الكلمة أن الكلمة تدل على الزمان الحاضر ، وهذا وما أشبههما تدل على الزمان الذي حوله (1) .

أما سببها فقد عرف الفعل بأنه ( صبح ) مأخوذة من المصادر وأنها تدل على الزمن الماضي ، أو الحاضر ، أو المستقبل ، وقد مثل لكل ألوانها بأمثلة تشير إلى استعماله في اللغة ، فمثل للفعل وفقاً لزمن ، ووفقًا لشكل الصيغة ، ووفقًا لاعتناقه مبنيا للمعلوم أو للمجهول ، يقول : ( وأساسا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنبت لما مضى ، وليكون ولم يقع ، وما هو كائن لم يقطع ، فأما بناء ما مضى فذكب ، وسريع ، ومكت ، وحميد . وأما بناء ما لم يقع فإنه قوله آمنا: اذهب ، واقتل ، ومخترا : يقتل ، وبذهب ، ويصرب ، ويقتلا ، وينصرب . وكذلك بناء ما لم يقطع وهو كائن إذا أخبرت .)

(1) منطق أسطول 62 / 1
(2) الكتاب 2 / 1
96
وهذا التناول للفعل وإن كان حصره في زمن فلسفي ماض وحاضر ومستقبل، فإنه يختلف عن تناول أرسل، من حيث إنه مبني على واقع الصيغة الشكلية في العربية، ومن حيث إنه لم يقصر على الزمن الحاضر.

على أن دلالات الفعل على معنى مقترب بزمان قد استقرت بعد ذلك في التمرادات النحوية المتاخرة على نسق ما وجدنا في الاسم، ومن اللافت أن ابن السراج عرف الفعل تعريفا يقترب من تعريف أرسل الذي جعله علامات على شيء يقال عن شيء آخر» وذلك حين قال: «والفعل ما كان خيرا ولا يجوز أن يخبر عنه... فالخبر نحو: يذهب عمرو، فذهب حديث عن عمرو، ولا يجوز أن تقول جاء يذهب».

الرابطة:

أما القسم الذي غلب على ظن الناس أنه القسم الثالث عند أرسل، فهو الذي عرض له في عمل آخر غير أعماله المنطقية وهو الذي يسمى Syndesmol الرابطة، وهي عنه صوت بلا معنى، ولا يسبب ولا يمنع صوت أو عبارة ذات معنى من أصوات كثيرة، ولا يمكن أن يتصدر الجملة حين تكون جملة واحدة. وهناك نوع آخر من الرابطة وهو صوت بلا معنى أيضا، ولكنه يمكن أن يشكل صوتا أو عبارة ذات معنى من أصوات كثيرة لكل منها معناها في نفسها.

(1) الموجز في النحو ص 27

(2) Poetics xx from Dinneen, An Introduction, p. 83 - perl, amphi روابط في اللغة اليونانية toi .. de, me .. de تعني about - near

النحو العربي - ۰۷
A Syndesmos is a sound without a meaning, which neither
hinders nor causes the formation of a single significant sound or
phrase out of several sounds, and which, if the phrase stands by
itself, cannot properly stand at the beginning of it; for example;
men .. de, toi .. de, or else it is a sound without a meaning; cap-
able of forming one significant sound or phrase out of several
sounds, each having a meaning of their own; for example, amphi..
Peri...

وَنَخْنَ لا نَعَرْفُ لَمْ أَخْتَارَ النَّاسُ هَذِهِ الْرَّابِطَةَ لَتُقُوَّن قَسَمًا ثَانِيًّا
تَصَنِّيفًا لَمْ يَقْمَهُ أُرْسُطُو وَلَمْ يَشَّرْ إِلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْكَلْمَةِ قَدْ وَرَدَّت
عَنْهَا بَيْنَ سِعْ كَلْمَاتٍ حِينَ كَانَ يَتَحَدَّثُ فِي الْشَّرْعِ عِنْ صَنْعَةِ الْإِلْقَامِ
وأَرْبَابِهَا، فَقَرَرَ أَنَّ الأَجْزَاءِ الدَّاخِلَةِ فِي الْعَبَارَةَ بُوْجَهَ عَامٍ (حَيْ): الْحَرْفِ
وَالْمَقْطِعِ الرَّبَاطِ، الْإِسْمِ، الْفَعْلِ، الْتَصْرِيْفِ، والْكَلَّامِ. (1)

وَجَاءَ فِي تَرَجُمَةِ مَنْ يُونُسُ لِكِتَابِ الْشَّرْعِ: وَنَقُولُ فِي عَمَّادِ
المَقْوَلَةِ بْنَ أَسْرُهَا، وَأَجْزَاءِ الْأَسْلِقَاتِ هِيَ هَذِهِ: الْاَقْتَضَابِ، الرَّبَاطِ،
الْفَاصلَةِ، الْإِسْمِ، الكَلْمَةِ، التَّصْرِيْفِ، القُولِ. وَبِيَدِ أَنَّ الرَّبَاطِ
وَالْفَاصلَةِ تَنْدَخُلُانِ ثُمَّ كَلْمَةٌ أَرْسُطِيَّةٌ، يَقُولُ: وَأَمَّا
الأَرْسُطِيَّةُ فِي صَوْتِ مَرْكَبٍ غَيْرِ مَدْلُولٍ، بْنَمَّازِلَةٍ (أَمَا) وَ(أَلِيس). وَذَلِكَ
أَنَّ ما يُسِعُ مِنْهَا هُوَ غَيْرِ مَدْلُولٍ مَرْكَبٌ (آ) مِنْ أَصَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَهِيَ

(1) أُرْسُطُو: كَتَابُ أُرْسُطُو طَالِيسِ فِي الْشَّرْعِ، نَقِلُ أَنَّ يُونُسَ
الْأَفْقَانِيُّ مِنْ السُّرِيَّانِيِّ إِلَىِّ الْعَرَبِيِّ، تَحْقِيقَهُ فِي تَرَجُمَةِ حَدِيثَةٍ وَدِرَأَةِ لِتَأَثِيرِهِ فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الدِّكَّانِيُّ فِي الْكُتْبَةِ مَسْهُدِ عُيُودٍ دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ ١٩٦٧ ص١٨٨

٩٨
دالة على صوت (لطخة) واحد مركب غير مدلول. وأما الفاصلة فهي صوت مركب غير مدلول. إما لابتداء القول وإما لآخره، أو حدادلا، بمنزلة (فأنا) أو (من أجل) أو (إلا) . . .  

من الواضح الآن أن نسبة التقسيم الثلاثي للكلمة إلى أرسطو فيها نصيب كبير من البعد عن الحقيقة.

وأما سيبويه فلم يعرف التقسيم الثالث بأنه "رابطة"، وإنما سمى حرفاء جاء لمعنى، ومثل له بحرف العطف، والاستقبال، والقسم، والإضافة فقال: "الكلم اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم وسوف وواو القسم، ولام الإضافة، ونحوها".

على أن الزجاجي في القرن الرابع فسر "الحرف" تفسيراً أرسطياً حين قال: "وسمى التقسيم الثالث حرفًا لأنه حدد ما بين هذين القسمين وربطهما، والحرف حد الشيء، فكأنه لواصله بين هذين كحرف الي ما هو متصل بها".

وفي القرون المتاخرة استقر التقسيم الثلاثي استقراراً تاماً عند النحاة مع إضافة توجيه بتأثير التصور العقلي في منهج أرسطو قالوا: ودليل

(1) السابق 113 - 114
(2) الكتب 1 / 2
(3) الإيضاح 44

99
The sentence is a significant portion of speech, some parts of which have an independent meaning, that is to say, as an utterance, though not as the expression of any positive judgment.

This definition distinguishes the sentence from the word, for the part of the word does not indicate the meaning of the word as such, and it appears that the analysis of language must be guided by the grammatical and morphological system, and the word is considered the basic unit of the sentence.

On the other hand, what is analyzed by the sentence is that it is not a syllogism, which is also the case, which is based on a theory of logic and propositions, and is composed of three premises and a conclusion, and all refer to the interpretation of 16:6-29.

(1) Ibn Histogram: Shor Shm the Zeb 13:14
(2) On Interpretation 16:6 26-29.
منها تنبت أو تنفي شيئاً، و كل جملة تكون من موضوع ومحمول، أي من مسند إليه ومستند، أو من مبتدأ وخبر عند النهاة. وهنا نأتي إلى نقطة أخرى مهمة. ذلك أن أرسطو كان دائمًا يقدم المحمول على الموضوع، فهو لا يستعمل قط صيغة مثل: كل ب هي ا، وإنما

A is predicated of all B or A belongs to all B
A is contained in B or A is within B
A is contained in B or A is within B

وعندنا: «إذا كان محمولاً على كل B و B محمولاً على كل ج».

إذا يجب أن يكون محمولاً على كل جـ.

«If A is predicated of all B and B of all C, A must be predicated of all C.» (1)

ونلاحظ هنا أن أرسطو يستخدم الرموز الهجائية في كتابة القضايا، ويبدو أنه أول من استخدمها إلا أن يكون قد أخذها عن الهندسة حين استخدم يودوكس Eudoxus (408-355 م) الرموز الهجائية على الخط المستقيم. (3) وسوف نرى أن هذه الطريقة هي التي يستخدمها أصحاب النحو التحويلي.

الجملة عند أرسطو إذن هي الجملة الخبرية، والمحمول يقدم على الموضوع (2).

(1) Prior Analytics, 52 b 38 - 40.
(2) انظر الدكتور محمود فهمي زيدان: المثلوم الزمني، نشأته وتطوره، دار النهضة العربية - بيروت 1973 ص 28.
(3) لمزيد من التفصيل في هذه القضايا انظر: Ross, Sir David, Aristotle, University paperbacks; Methuen, London, 1923.
وتأتي إلى النحو العربي لدرا أن سيبوهم لم يعرف بالجملة، وإنما عرض لها في أنائها المختلفة، فتناول الجملة الخبرية والإنشائية على السواء، وجعل بيحث في تركيبها مما توافر لديه من الاستعمال اللغوي.

وفي القرن الرابع أوجت تعريف ابن جني بالجملة مشيرة إلى دلالتها على معنى مستقل، جامعا فيه جماعات الخبر والإنشاء، فيقول: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، ومفيد لمعناه، وهو الذي يسميه التحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب بسما، وفي الدار أبكر وصه، وما، ورود، وحاء وعاء في الأصوات، وحص، ولب، وأف، وأوه. فكل لفظ مستقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام" (1).

وفي الجملة الاسمية اتفق النحاة على أن المبتدأ أهم من الخبر، أو هو مقدم عليه، بل إن اسمه في النحو مأخوذ من كونه مبتدأ به، ولم تكن فكرة الإسناد بعيدة عنهم عند عرضهم للمبتدأ والخبر، ولسكن المبتدأ أيضاً أهم لأن الخبر مبني عليه، يقول سيبوية:

"هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يعني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدأ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، وعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء... فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد" (2)

والقيمة المبتدأ عندهم كرروا أن الخبر لا يكون أعرف منه، وإذا

(1) الخصائص 17 / 17
(2) الكتب 17 / 7
102
شاوية في التعريف فالمقدم دائما هو المبتدأ، ولكن الخبر في النهاية ليس متصلةاً مع فكرة المحمول الأرسطي، لأن المحمول عند أرسطو عام بالنسبة للموضوع ومن ثم كان مقدما عليه، أما الخبر عند النهاية فهو أولا مبني على المبتدأ، وقد يكون هو المبتدأ، وقد يكون زمانه أو مكاناً، يقول سيبويه: "فالمبتدأ كل اسم ابتدائي لبنى عليه كلام والمبنى والمبتدأ عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا لبنى عليه المبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسمى إليه، وإعلم أن المبتدأ لا يدل على أن يكون المبني عليه شيئاً هو هو، أو يكون في مكان زمن، وهذه الثلاثة يذكر كل واحد منها بعد ما ينطلق، فأما الذي ينطلق عليه شيء هو فإن المبني عليه يرتفع به كما يرتفع هو بالابتداء، وذلك قوله: "عبد الله المنطلق، ارتفع عيد الله لأنه ذكر لبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبني على المبتدأ ينزله. الحد فيه أن يكون الإبتداء مقدماً. (1) وقول الزمخشري: "وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين مع كقولك زيد المنطلق، والله إلهنا، محمد نبينا، ومنه قوله: "أنت أنت، وقول أبي النجم وشعرى شعري، ولا يجوز تقديم الخبر هنا بل أبيهما قدمت فهو المبتدأ (2)."

وبعد، فلعلنا نفهم هذا العرض بما بلي:

1 - إن المنطق الأرسطي لم يكن معروفاً معرفة كافية أيام الخليل

(1) 287 / 1
(2) شرح المفصل 1 / 98

١٠٣٠
وسينوبوي وهما صاحبا التأثير الحقيقي في النحو العربي، ولكن ذلك لا يعني أن هذا المفتي كان بعيدا عن أيديهم في شكل ما، ونحن لستمتع أن نعطل عن أوجه من التشابه بين المفتي والنحو في هذه الفترة وبخاصة في قضية التعليل وهي تمثل عنصرها أساسيا في المنهج النحوي عند العرب.

2- أن تأثير المفتي الأرسطي كان أكثر وضوحا في القرون التالية، في التصنيف والتعريف والاصطلاح.

3- إنه من "غير المفتي"، أن يتأثر النحو تأثرا كاملا بمنهج أرسطو في المفتي لا تختلف الغاية في كل منهما. ومن ثم رأينا الحملة التي هي معقد الدروس النحوي - خلفية اختلافا تاما عنها عند أرسطو.

4- إن رفض النحاة استخدام المفتي المفتي كما تدل عليه بعض ما تقوله الكتب من مناظرات، وكذلك خلافة النحاة لبعض آراء أرسطو كل ذلك لا يدل على أن المفتي كان غالبًا، ولكنه في الحق كان على مدار أعمالهم، غير أن القضية لا ترتبط "بالاستيراد" و"التقليد" كما أشارنا أوله "appropriation" وإنما تتعلق بالمملكة البحث.

5- إن وجود الآثار المنطقي في النحو العربي دليل على مكانة الجانب "العقلية" في هذا النحو، وهو جانب كان موجودا مع الجانب "التقليدي" في المناخ العام الذي كان يسود البيئة الإسلامية وقت نشأة هذه العلوم وازدهارها.
٦ - إن وجود الجانب العقلي في النحو، وخاصة في مظهره المنطقي كان عنصرًا أساسياً من عناصر النقد الذي وجهه الوصفيون إلى النحو التقليدي، ومن ثم وجه المحدثون إلى النحو العربي. غير أننا سوف نرى أن هذا الجانب عاد ضرورياً في البحث النحوي عند التحويليين. وهو ما تخصص له القسم التالي.
الباب الثاني
ال نحو التحويلي
الفصل الأول

تشومسكي وأصوله النظرية


والحق أن تشومسكي يمثل «ثورة» حقيقية لأنه قروض الدعائمه التي يقوم عليها علم اللغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لا خلاف نظرته إلى «طبيعة» اللغة، والحق أيضاً أن اللغويين لا يتفقون جميعهم مع تشومسكي فيما قدم من جديد، بل لا تزال المدارس اللغوية الوصيفة كما كانت من قبل وبخاصة في عدد من الجامعات.
أوستروية. لكن هؤلاء جميعا لا يستطيعون أن يتغافلو عن منهج تشومسكي، بل إن كل مدرسة تحدد منهجها وأصولها بالقياس إلى مدرسته وأصوله.

في Avram Noam Chomsky (1) فلادفيا 7 ديسمبر 1918، ودرس علم اللغة، الرياضة، والفلسفة في جامعة بنسلفانيا. وقد تعلم شيئا من مبادئ علم اللغة التاريخي من أبه الذي كان أستاذًا للعبرية، وأعد رأساته لمجاستري في العبرية الحديثة، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها. وكان تشومسكي مستغرقا في النشاط السياسي منذ صباه. وتكونت آراؤه وسط ما يشير إليه هو باسم "الجماعة اليهودية الراديكالية في نيويورك"، وهو أمبل إلى الفكر الاشتراكي. وعلل نشأته السياسي هذا هو الذي قربه من أستاذ اللغة بجامعة بنسلفانيا Zellig Harris والذي وجه اهتمامه إلى هذا الميدان. وقد بلغ تشومسكي شهرة واسعة لا في علم اللغة فحسب، بل بما كان يكتب ضد السياسة الأمريكية في الحرب الفيتنامية، وقد أصدر في ذلك كتاب مشهوراً بعنوان:

American Power and the New Mandarins

وتخن نشير هنا إلى هذا النشاط السياسي لأن آراءه السياسية عن الإنسان لا تتفصل عن الأصول الفكرية التي أقام عليها منهجه في درس اللغة.

كان تشومسكي إذن في التاسعة والعشرين حين أصدر كتابه الأول الذي بدأ "الثورة" في علم اللغة. ثم أخذ يصدر عدداً من الدراسات والأبحاث يطور فيها منهجه، نذكر أهمها فيما يلي:

5. Language and Mind. (1968)

نقد للنحو الوضعي

كان النحو الوضعي - كما أشارنا - قد وجه نقداً عنفاً للنحو التقليدي وبخاصة في صدوره عن تصورات عقلية يمثلها - على الأغلب - منهج أرسطو في المنطقة. وقد نشأ تشومسكي في مدرسة نتباط طريقة بلومفيلد في البحث اللغوي. ورغم استقرار هذه المدرسة وأزدهارها فإن تشومسكي وجه إليها - وإلى النحو الوضعي على العموم - نقداً عنفاً أيضاً.

لقد كان بلومفيلد أكثر من اهتم بأن يكون علم اللغة "علمية" و"مستقلًا" ومن ثم جهد في أن يخرج منه كل ما رآه غير صالح للوصول العلمي الدقيق. أما سابير فإنتأثر بالأنثروبولوجيا جعل نظرته إلى اللغة أكثر إنسانية، ومن ثم كان تركيزه على أهميتها الثقافية. وضرورة أن يكون البحث اللغوي "علميًا" يجعل بلومفيلد يرفض كل المواد التي لا تخضع للملاحظة المباشرة، وللقياس الطبيعي، وهو ما كان متبعا في المذهب السلوكي على ما أشارنا إليه، ومن هنا كان تأكيده أن دراسة "المعنى" هي أضعف نقطة في علم اللغة، وحاول إخراجها من نطاق البحث، وقصره على الفيزيولوجيا والنظم على أساس شكلي.
رفض تشومسكي كل هذا، لقد رأى البحث اللغوي يترك على
وصف "السطح" اللغوي "كما هو" بمقاييس "النهاية" و"الاستجابة"،
أي أن البحث اللغوي يكاد يتعامل الإنسان باعتباره "آلة" تنحـرك
حسب قواعين تحددها مواقف معينة، ولم يكن على الباحث اللغوي إلا
أن يطبق "إجراءات معينة" "لكشف" هذا السلوك الإنساني عليه
فإن التحور الوصفي عموما وكما تمت مثلا مدرسة بليومفيلد خصوصا تقدم
"discovery" إلا أن هذه الأنماط الشكلية من خلال إجراءات الاستكشاف
"como أسماها تشومسكي (1). إن فكرة "استقلال"
الدرس اللغوي و "علميته" لا تقدم إذن شيئا ينتمي بالإنسان باعتباره
إنسانًا، وإن تسعى تحت سيطرة الفكرة "العلمية" إلى الوصف الآلي
خشية السقوط في التأويلات الميتافيزيقية.

إن الإنسان عند تشومسكي ليس هذه الآلة، إنه لا يختلف عن
الحيوان بقدرته على التفكير والذكاء فحسب، ولكنه يفوق عنه-وهو
الأهم - بقدرته على اللغة. ولا شك عنده في أن اللغة هي أهم الجوانب
الحيوية في النشاط الإنساني، وليس من المعقول أن تكون لها هذه
الأهمية ثم تحول إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيين إلى تجربتها
من "المعنى" ومن "العقل" في هذا الوصف السطحي الذي صوره
دي سوسير أول هذا القرن. إن درس اللغة كما يراها تشومسكي لا
ينبغي أن ينطلق عند هذا النهج الوصفي باعتباره "مستقل" لا يتجاوز
حدود المادة المباشرة، وإنما ينبغي أن تعتني الدراسة اللغوية على فهـم
"الطبيعة" البشرية. ويلفت تشومسكي الاهتمام إلى الأطفال على
وجه الخصوص. إنهم - في سن الخامسة مثلا - يستطيعون أن ينطقوا

(1) Chomsky, Syntactic Structures, Monton & Co. The Ha-
gue, 1957, p. 51.
كل يوم مئات من الجمل لم ينطقوها من قبل، ويستطيعون أن يفهموا ما يقال لهم من "كلام" لم يسبق لهم أن سمعوه، ومعنى ذلك أن هناك أصولاً "عميقة" في التركيب الإنساني تجعله يتميز بهذه القدرة وعليه تنご覧 أن نبحث عن الأصول العميقة لدى الإنسان. وهو يرى universals أيضاً أن هناك مبادئ مشتركة أو كلية في كل اللغات الإنسانية حتى إنه ليرى أن هذه المبادئ يمكن أن تحدد ب"بولوجيا" بمعنى أنها تمثل جزءاً مما نسميه "الطبيعة" البشرية.
وعلى اللغوي إذن أن يضع في حسبانه أولاً قدرة الإنسان على اللغة وفقاً لوصف "البنية السطحية" «لا يقدم شيئاً، بل لا يعتبر أحداً، لأنه لا يفسر شيئاً، ولكن الأهم هو أنdeep or underlying structure» نصل إلى "البنية التحتية أو العميقة" لأنها هي التي تقبلنا على قوانين الطبيعة البشرية.

من أجل ذلك قلنا إن آراء تشومسكي السياسية لا تنفصل عن آرائه في علم اللغة، لأنه يصر في كل أولئك عن نهج واحد، يرى أن هناك فروقاً جوهرية بين الإنسان وبين الآلة أو الحيوان، وأن على الحكومات، وعلى العلماء، أن يضعوا هذه الفروق في اعتبارهم وكل ذلك أيضاً أن يُقسَّم إلى تقسيم الأسس التي قام عليها النحو الوصفي، لأن قضية "استقلاله" تصبح قضية بلا معنى، فلا مناص من الاستعانة بالفلسفة وعلم النفس استعانة أساسية. وقد رأى تشومسكي لذلك أن ما تحتاج إليه هو "نظرية لغوية" تشارك في فهم الطبيعة البشرية مع السعي أن يكون ذلك في نطاق مبادئ العلم.

النظرة اللغوية وأهدافها:

لعل أهم ما يميز تشومسكي أنه يسعى إلى إقامة "نظرة عامة" النحو العربي - ٨١١٣
mentalistic

«From now on I will consider a language to be a set (finite or infinite) of sentences; each finite in length and constructed out of a finite set of elements. All natural languages in their spoken or written form are languages in this sense, since each language has a finite number of phonemes (or letters in its alphabet) and each sentence is representable as a finite sequence of these phonemes (or letters), though there are infinitely many sentences.»

واذا كان الأمر كذلك فإن اللغة خلاقة بطبيعتها؛ أي أن كل المتحكم يستطيع أن ينطق جملًا لم يسبق أن نطقها أحد من قبل، ويستطيع أن يفهم جملًا لم يسبق أن سمعها من قبل. وإذن فإن نظرية النحو ينبغي أن تعرف كيف تنتج اللغة جملًا لا حد لها من عنصرين صوتية محدودة.

native - Speaker 
ideal speaker - hearer

وهذه النظرية تتجه إلى الإنسان صاحب اللغة أو إلى: يسمي تشومسكي بالتكلم السام عن التالي في مجتمع لغوي منتج للغة معرفة كاملة. وهذا الشرط ضروري لأن الهدف هو معرفة القواعد الإنسانية التي تجعل

الإنسان يتميز بهذه «القدرة» على اللغة. ولكي نصل إلى هذه القدرة يرفض تشومسكي النحو الوصفي الذي يقف عند الوقائع اللغوية كما يقدمها البحث الحالي في أشكالها الفعلية، ويؤكد أن هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما لفهم اللغة الإنسانية، أما الجانب الأول، actual linguistic performance فهو الأداء اللغوي الفعلي وهو الذي يمثل ما ينطقه الإنسان فعلًا، أي يمثل «البنية السطحية» للكلام الإنساني. وأما الجانب الثاني فهو «الكفاءة التحتية» عند هذا «المتكلم الساعم المثالي» وهي underlying Competence التي تتمثل «البنية العميقية» للكلام.

وهذان المصطلحان، الأداء والكفاءة، يمثلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند تشومسكي. إن الأداء أو السطح يعكس الكفاءة أي يعكس ما يجري في العمق من عمليات. ومن ثم ذلك أن اللغة التي نطقها فعلًا إما تكمل تحتاً عمليات عقلية عميقة، وتحتوي وراء الوعي بل وراء الوعي الباطن أحياناً ودراسة الأداء، أي دراسة بنية السطح تقدم التفسير العميق للغة، أما دراسة الكفاءة، أي بنية العمق، فتقدم التفسير الدلالي لها.

وهذان النظرية تفترض أن يدمج النحوي بما كان يرفضه الوصفيون مما أخذوا على النحو التقليدي من أنه كان هنا معيارياً يحرى معرفة «الصواب» في اللغة، لكن دراسة الأداء، والكفاءة، لا بد أن تسعي إلى معرفة ما يسميه تشومسكي «النحوية» في اللغة، أي بالقواعد التي على أساسها تكون جملة ما grammaticality

مقبولة لدى صاحب اللغة؛ ومنع ذلك أن هدف النحو هو أن يميز كل ما هو " نحووي " مما " ليس نحووي " في اللغة، أي أن النحو ينبغي أن ينظم كل الجمل التي تكون مقبولة نحويا، على أن ينظم كل هذه الجمل النحوية فحسب.

"The fundamental aim in the linguistic analysis of a language L is to separate the grammatical sequences which are the sentences of L from the ungrammatical sequences which are not sentences of L and to study the structure of the grammatical sequences." (1)

ولسنا هنا نخوض في تفصيل هذا العنصر في نظرية تشومسكي، ولكننا نلمфт فقط إلى أن القبول النحووي لجملة ما لا يتوقف على المعنى المعجمي لعناصر الجملة، ولكن يرتكب إلى نظام عميق معين يمتلكه المتكم، وله يستطيع أن يميز جملة من أخرى. وقد يكون مناسباً أن نقدم هنا بعض ما قدمه تشومسكي من أمثلة توضح هذه الفكرة.

إذا نظرنا إلى الجملتين التاليةتين فإننا نلاحظ أنهما لا تدلون على grammatical معنى ولكن الانجازي يشعر أن الجملة الأولى " نحوية " والثانية " غير نحوية " لأن البنية السطحية في الأولى ungrammatical تتوافق مع قواني البنية العميق عندنا:

(1) Syntactic Structures, p. 13.
1 - Colourless green ideas sleep furiously.
2 - Furiously sleep ideas green Colourless.

أما إذا نظرنا إلى الجمل الأربع التالية فإننا نلاحظ أنها جميعًا ذات معنى، ولكن الإنجليزى يعتبر الجملتين الأولتين فقط تحويتين.

1 - Have you a book on modern music?
2 - The book seems interesting.
3 - Read you a book on modern music?
4 - The Child seems sleeping.

والحق أن هذا التمثيل يمكن تطبيقه على كل اللغات، وسوف نرى أن العرب القدماء تناولوا شيئًا قريباً منه عند حديثهم عن الكلام المحال.

النظرية اللغوية إذن على أنها أن تفهم كيف يستطيع المتكلم أن ينتج جملًا لا تحترض لها من عناصر لغوية محدودة، وأن تميز ما هو مقبول نحوياً بما ليس مقبولاً، أي أن النحو ينبغي أن يكون صالحًا لتوليد كل الجمل النحوية في اللغة، ومن ثم عرف هذا النحو بأنه توليدى generative، والأغلب أن يقرن مصطلح التحويلي به فائقًا Transformational generative grammar. TG Grammar مصادره بالرمزين الأولين.

وفهم النظرية في هذا السياق الذي وضعه تشومسكي يوضح الفرق

(1) Ibid: p. 15.
الجوهري بينه وبين الوصفيين، فالنحو عنده لا بد أن يتم "بالجاذب" عند المتكلم، لأنه ليس آلة تصدر أصواتاً وفقاً لعوامل خارجية، وإنما هناك هذا الشيء الداخلي الذي يجعله يتحرك وهو متجرد من هذه العوامل. ف"الجاذب" ليس عنصرًا ثانويًا في الدرس اللغوي وإنما هو عنصر جوهري. ولما كان الجاذب إنسانًا فإن النظرية كما قلنا تعني إلى معرفة الظواهر الكلية في كل اللغات، وليس يعني ذلك أن هذه الظواهر يمكن أن تجدها في كل لغة، ولكنها يمكن أن تدرس بجعل عن لغة معينة، وذلك كما نرى فيما عرف بالملامح المميزة في الفونولوجيا التي أصبحت الآن ضرورية في فهم الظواهر الفونولوجية في كل اللغات. وذلك أيضًا ينافض مذهب الوصفيين في أن كل لغة "قانون في نفسها".

إن ذلك كله ناتج عن أن تشومسكي ينخرط في سلك العقلين الذين يرون أن العقل الإنساني هو وسيلة المعرفة، rationalists على عكس الوصفيين الذين ينتمون إلى التجربين. empiricists

من يرون أننا نصل إلى المعرفة عن طريق التجربة.

هذه هي النظرية اللغوية عند تشومسكي في خطوطها العامة وسوف نلقي الضوء على بعض جوانبها في الفصل التالي، ولكن ما هي الأصول التي صدر عنها في تشكيل النظرية مما كان له أثره البالغ في تحويل الدرس اللغوي على ما هو معروف الآن في الجامعات الأمريكية.

. . . . .

الأصول النظرية:

من الواضح أن تشومسكي أقام منهجه على أسس عقلية حين رفض الوصف المحدود للصحة، غير أن الأصول الفكرية التي صدر عنها لم تكن واضحة حين أصدر كتابه الأول، لكنه بسط القول في هذه الأصول عندما قدم دراسته سنة 1966 عن "علم اللغة الديكارتيّ " «Cartesian Linguistics».

واللقد نرى مهمّة أن نعرض هذه الدراسة لنوضج الفارق المنهجي بين الوصفيين والتحويليين.

كان الوصفيون يقدرون النحو التقليدي بأنه صادر عن تصورات عقلية وخصوصًا في إطارها الأرسطي، أما تشومسكي فقد رأى أن يربط اللغة بالعقل؛ لأن المنهج الوصفي لا يقدم شيئًا مهما في فهم اللغة التي هي أهم سبيل إلى فهم طبيعة الإنسان. من هنا كانت دعوته في صدر هذه الدراسة إلى ضرورة العودة إلى مناهج النحو القديمة، وقد أشار في ذلك إلى جهود العرب القدماء (1)، لأن هذه المناهج كانت أقرب إلى "الإنسان". وفي هذا السياق تقع دراسته عن اللغة عند الديكارتيين.

1- ديكارت والتفسير الآلي:

يرى ديكارت أن الحيوان آلة يمكن تفسير كلما automation يصدر عنه تفسيرا آليا، mechanical explanation ذلك أن

(2) Ibid ix - xi.
الأجسام المادية كلها تخضع للقوانين الآلية، والحيوان جسم مادي لأنه لا عقل له ولا شعور، وهو لا يتصرف واعيا بآغراض محددة. ويؤكد أن الحيوان ليست له مرتبة متقدمة من العقل والشعور، بل لا عقل له على الإطلاق. ومن الحق أن هناك حيوانات تؤدي مهارات الإنسان أمّا أنها، ولكن ذلك ليس دليلا على أن له عقل، وإنما يدل فحسب على أن الطبيعة تؤثر فيه تأثيراً آلياً وفق تركيب أعضائه كالساعة التي هي مصنوعة من مجموعة من القطع المعدنية تحسب الوقت أدق وأصدق مما يستطيعه نحن.

أما الإنسان فيختلف عن الحيوان اختلافاً جوهرياً، إنه ليس آلة ومن ثم لا يخضع للتفسير الآلي. صحيح أن كثيراً من الظواهر الجسمية عنه يمكن تفسيرها وفقاً لقوانين الميكانيكا والفيزيولوجيا، لكن هناك عالم آخر لديه يتمثل في النشاط العقلي يستحل خضوعه لهذه القوانين.

ويركز ديكارت أهم فرق بين الإنسان والحيوان في القدرة على اللغة، فالإنسان قادر على اللغة، والحيوان عاجز عنها، بل إنه أشار - في هذا الوقت المبكر - إلى إمكان صناعة آلة تتعلق كلمات تتعلق بها، فتأثر فيها، فستؤثر عما تريد إذا لم تستجب لها معينا منها، أو تصرح متأثرة إذا لم تستجب جزءا آخر، لكنه من المستحيل أن يتصور آلة تستطيع أن تتراب الكلمات في جمل استجابة لعيان أو عبارات تقال لها، وهذا هو ما يستطيعه الإنسان:

«For we can easily understand machine's being constituted so that it can utter words, can even emit some responses to action on it of a corporeal kind, which brings about a change
in its organs; for instance, if it is touched in a particular part it may ask what we wish to say to it; if in another part it may exclaim that it is being hurt, and so on — But it never happens that it arranges its speech in various ways, in order to reply appropriately to everything that may be said in its presence, as even the lowest type of man can do.» (1)

«For it is a very remarkable fact that there are none so depraved and stupid; without even expecting idiots, that they cannot arrange different words together, forming of them a statement by which they make known their thoughts; while, on the other hand, there is no other animal, however perfect and fortunately circumstanced it may be, which can do the same.

It is not the want of organs that brings this to pass, for it is evident that magpies and parrots are able to utter words just like ourselves and yet they cannot speak as we do, that is, so as to give evidence that they think of what they say». (1)

وهذا المنهج الديكاري في التفريق بين الحيوان والإنسان هو الذي أصل فكرة الجانب الخلاق في اللغة ، وهذه创意 aspect الفكرة بدت أكثر وضوحًا ورسوًا عند المفكر الألمانى ‌‌humboldt الذي يراه تشومسكي صاحب فضل كبير في ربط اللغة بالعقل وفِي تقديم منهج «توليد» لدراسة اللغة .

۲- همبولت والجانب الخلاق في اللغة :

وأهم ما يؤكد همبولت أن اللغة إما هي عمل العقل (die Arbeit des geistes) وهي « الصوت المنطوق الذي نستطيع به أن نعبر عن الفكر » .

«Sie ist nämliche die sich ewig wiederholende Arbeit des ggeistes, den articulirten Laut zum Ausdruck des Gedanken fahig zu machen.»

وطالما أن اللغة هي عمل العقل » فإن هناك دائمًا عوامل تكمن تحتها » أي ليست "على السطح " ، وهو ما أوضحه تحت ما أسماه ( = form of language) die Form der Sprache "شكل اللغة" .

(1) Ibid. p. 117.
فيقول إن هناك شكل خارجي (آلياً)، ولا خصوصاً داخلياً (عضويً).
(organic) والشكل الداخلي العضوي هو الأهم، لأنه يتطور من الداخل، وهو الأساس في كل شيء، أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك على السطح. إذاً لا ينبغي أن ننظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الظواهر المتفصلة - كالكلمات والأصوات وكلام الأشخاص، ولكن باعتبارها ( نظاماً عضوياً) تتداخل فيه كل الأجزاء، ويؤدي فيه كل جزء دوره وفقاً للعمليات (التوليدية) التي تكون البنية العميقة.
وإذاً أن نتناول لشكل اللغة على هذا النهج، نادع من نظرته العامة عن طبيعة الإنسان، وعن نظرته إلى "الحرية المجردة"؛ ذلك أن الطبيعة الإنسانية عندئذ ليست خاضعة لعوامل خارجية، ولكنها تتطور ضمن داخليها هي:

"Under the Condition of freedom from external control".

وهذا التحرر من العوامل الخارجية هو الذي يجعل العمل الإنساني خلاقًا على عكس العمل الحيواني الذي هو "آلي". ولعمل الخلاق كما قلنا يصدر عن "الداخل" أي يصدر عن "البنية العميقة" لدى الإنسان، وللغة كذلك متحررة من الدوافع الخارجية، وهي ليست مقصورة على وظيفة التوصيل العملية كما في لغة الحيوانات ولكنها أداة للتفكير الحر والتعبير الذاتي.

"As a means of thought and self-expression rather than as an animal-like functional communication system."

ويرى تشومسكي أن "شكل اللغة" كما أصله همبولت يعني "possession of language "، ولا يعني ممارستها.
الفعلية، أي تعني المصطلح العقلي أطلقه هو بعد ذلك عن "الكفاءة" performance، ولا تعني مصطلح "الأداء" Competence وكل ذلك يفضي إلى أن القواعد الحقيقية للغة إما هي قواعد عامة أو universal ثم تتحقق بعد ذلك في كلام الأفراد وقد يذكرنا ذلك بفكرة "الوقائع الاجتماعية العامة" التي تأثر بها د. سوسير. في la langue و la parole التفريغ بين

(1) البنية العميقة والبنية السطحية:

إن اعتبار اللغة "عملا للعقل" أو "آلة للفكر والتعبير الذاتي" يعني أن اللغة جانبيين، جانبياً داخلياً، وآخر خارجياً. وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين، أما الأول فيعبر عن الفكر، وأما الثاني فيعبر عن شكلها الفيزيائي باعتبارها أصواتاً ملموسة.

وهذه الأفكار هي التي ظهرت بعد ذلك عند تشومسكي تحت اسم البنية العميقة والبنية السطحية. ولما كانت البنية العميقة تعتبر عن المعنى في كل اللغات فإنها تعكس "أشكال الفكر الإنساني"، وعلينا أن نعرف كيف "تتحول" هذه البنية إلى كلام على "السطح" وهذا هو الأصل في "النحو التحويلي" الذي يهمن بالقواعد التي تحدد البنية التحويلية وتربطها ببنية السطح. ولما كانت اللغة لا نهائية فيما تنتج


(2) Ibid : pp. 31 - 51.
من جمل رغم "اختصار" مادتها الصوتية، فإن هذا النحو ينسب أيضًا بدراسة النظام الأساسي الذي تولد به قوانين البنية العميقة قبل تحويلها إلى كلام على السطح.

والذي لا شك فيه أن الاهتمام بالجانب الداخلي للغة لا بد أن يعتمد على عدد من "الافتراضات" الأساسية التي تكون البنية العميقة للغة، وهو شيء يذكرنا بتأكيد تشومسكي على الجانب الحدسي في العمل اللغوي.

ويشير تشومسكي إلى أن وجود هذا الجانب في المذهب الديكارتي grammaire générale جعل أتباعه يركزون على النحو العام، وذلك أكثر من النحو الخاص لان الجانب الداخلي يرتبط بآدابيات الأساس للعقل الإنساني، وهي قدرات عامة بين الناس، ومن ثم كانت فكرة "الكليات" في المنهج التحويلي.

... ويعود فعلياً عرض هذه الدراسة عند تشومسكي تختصر بها إلى ما يلي:

1 - إن المنهج الوصفي الذي تطور في هذا القرن ليس صاحا لدراسة "اللغة الإنسانية" لأنه يركز عمله على "الواقع اللغوي" وحده كما يظهر في كلام الناس رافضاً كل ما هو وراء الإظهار المادي للغة صوتاً أو كتابة.

2 - إنعودة إلى مذاهب الحركات العقلية في الفكر الإنساني

125
"... It seems to me, that the discontinuity of development in linguistic theory has been harmful to it and that a careful examination of classical linguistic theory, with its accompanying theory of mental processes, may prove to be an enterprise of considerable value." (1)

(1) Ibid. 73.
الفصل الثاني
طرق التحليل النحوي

لعل إسهام تشومسكي الحقيقي في تطوير الدرس اللغوي لا يرجع
فحسب إلى أنه أعاد هذا الدرس إلى طابع الإنسان، ولكن إلى ما قدمه
من طرائق "فنية" لتحقيق هذا الهدف. ولننا هنا بصدع عرض
فصل لهذه الطرائق، لكننا نرى من المهم أن نشير إليها في أشكالها
الرئيسية لما يستتبع ذلك من أهمية في فهم المناهج النحوية عموماً والمنهج
العربي على وجه الخصوص.

وأول ما نلفت إليه أن طريقة التحليل النحوي عندنا ينبغي أن تفهم
على ضوء الحقائق الآتية:

1 - إن النحو عند تشومسكي ليس تحليلًا للجملة في شكلها النظيمي
فحسب، ولكنه الوصف الشامل للغة، أي أنه يشمل الفونولوجيا،
والنظام والدلالة.

2 - إن النحو ينبغي أن يكون في إطار نظرية عامة للفات على ما
أشارنا إليه في الفصل السابق، من ذلك أن اللغة تتميز بأنها "خلاقية"
لأنها تتكون من أصوات محدودة ولكنها "تنتج جمالاً لا حد لها".
والنحو أيضاً يقوم على "عمليات" محدودة "تولد جمالاً" لا حد لها.
3- فإذا كان الأمر كذلك فإن النحو ينبغي أن يسعى إلى أن يشمل "كل" الجملة النحوية في اللغة، ولكن "فقط كل الجمل النحوية فيها"، وهذه الغاية كانت ساباً في رفضه بطريقة الوصفيين التي تقوم على إجراءات الاكتشاف. 

نحتاج إما هو إجراء تقييمي تستطيع به أن تختر الطرق الممكنة للتقنيات النحوية لتقرر أيها أفضل في تصور اللغة. ومعنى ذلك أنه ليس هناك "صواب مطلق" في طريقة نحوية معينة، ولكن هناك طريقة أصح أو أفضل من طرق أخرى، وهذه الحقيقة تؤكدها تشومسكي تأكيداً قويًّا في كل كتاباته باعتبار أن اللغة أهم ما يميز الإنسان ومن ثم فإنها نظام دقيق ليس من البسيط. 

أن نقول إن الطرق النحوية التي بين أيدينا تفتقد على أسراره وحقائقه. 

من أجل ذلك اقترح تشومسكي ثلاث طرق للتحليل النحوي، حاول اختبار كل منها على ضوء الحقائق السابقة، وقرر في النهاية اختيار إحداه لتشكل الوسيلة الفنية لدراسة اللغة، وهو ما نعرضه موجزاً فيما يلي:

(1) الطريقة الأولى وهي التي يسميها تشومسكي: 

Finite State Grammar

وهي تقوم على أساس سلسلة من الاختبارات تتولد بها الحمل، بحيث تنجز السلسة من اليسار إلى اليمين "left to right" (في اللغة الإنجليزية) وتبدأ باختيار العنصر الأول في الحملة على أقصى اليسار.

(1) Syntactic structures, pp. 18 - 25.

١٣٨
وهذا العنصر سوف يحدد العنصر التالي بعده وهكذا حتى تصل إلى نهاية الجملة؛ أي أن كل عنصر يتولد على اليمين يتوقف على العنصر الذي نولد على اليسار. ويقدم تشرمسي المثال التالي:

1 — The man Comes.
2 — The men Come.

إن البدء بكلمة (the) يمكن أن يؤدي إلى اختيار (man) أو (comes) ، ولكن اختيار (man) لا بد أن يؤدي إلى (Come) . (men). في حين أن اختيار (men) يؤدي إلى (Come).

ويمكن توسيع الجملة بوضع أنشطة (أو أنشطة) مغلقة على النحو التالي:

النحو العربي — ٩٣٩
ومن الواضح أن هذه الطريقة تشبه "الآلة" وهو يشير إلى أنـ
تعرف في علم الرياضة باسم:

**Finite state Markov processes.**

و فكرة هذه الآلة أو هذا الجهاز يوضحها أحد الباحثين في النحو
التحويلي بالصورة الآتية:

ننظر في هذه الحملة:

*This man has brought some bread.*

إن الجهاز الذي توضع فيه هذه الحملة يمكن أن يولد عدداً مـ
الجمل، وذلك إذا بدأنا بكلمة *(this)* من بين عدد من الكلمات
التي يمكن أن تبدأ بها *(a *or *the *or *some *or *that)*،
والله نظاناً كلمة *(has)* في أنها محتملة بعد *(this)* فإننا نختار
وهكذا. وإذا بدأنا ب *(that)* فإن الاختيارات التالية لا تناثر ولكن
إذا بدأنا ب *(those *or *these)* فإن علينا أن نختار بعدها كلمة
 *(the)* وهكذا. وإذا بدأنا بكلمة *(have)*، ولن تستمر في *(have *men *or *man)*
إذا بدأنا بكلمة *(has)*، ولن تستمر في *(has *men *or *man)*
وك يمكن تصوير هذه العملية بالجهاز التالي الذي يعمل أولًا من نقطة بداية
*(start)*، ويجلّل الجهاز يعمل من اليسار إلى اليمين حتى يصل إلى
*ص نياة التركيب. (1)*

(1) John Lyons, Chomsky pp. 47 - 55.
That awful man, that big fat man,
Some big fat awful men ... etc.

... وهكذا يمكننا أن نصل إلى جملة من مثل :

That man has brought us some bread and this beautiful girl has eaten the cheese.

وقد اختبر تشومسكي هذه الطرقية ووجد فيها غير صالحة للتحليل اللغوي لأنها تؤدي إلى تقديم "جمل محدودة" بينما تقدم اللغة "جمالاً لا نهاية لها" ، ومن ثم كانت تسميتها : finite state grammar. على أنها يمكن أن تؤدي أيضًا إلى توليد جمل أخرى كثيرة غير مقبولة نحوياً، أو بعبارة هنا: (many none-sentences) ومن ثم علينا أن نبحث عن طريقة أخرى.

الطريقة الثانية:

Diese dieze الطريقية يسميها تشومسكي (Parsing) إليها الآن؛ وترجع فكرتها إلى طريقة الإعراب التقليدية، وهي تشبه طريقة التحليل الإعرابي في النحو العربي إلى حد كبير.

Immediate إن كل جملة ت تكون من عناصر أساسية مباشرة
The man gave me a book.

article noun verb pronoun article noun
whole subject indirect direct whole predicate
object object

اذا كان عندنا الشكل الآتي:

\[ X + ( Y \times Z ) \]

فإذا نعرف أن عملية "الجمع" تسبق عملية "الضرب" ولكن:

\[ X \times y + z \]

العملية الرياضية تؤدي إلى اختلاف في النتيجة.

مثلا، إذا كانت

\[ Z = 5, \quad Y = 3, \quad X = 2 \]

\[
X \times (y + z) = 16
\]

\[
(XXy) + Z = 11
\]

And it is true that these bases are necessary in an attempt to understand many of the

Old men and women

\[
(\text{old men}) \text{ and women}
\]

(1) old (men and women)

And many of these bases are necessary in a general way to understand the

Sentences = S, Noun = N

Verbs = V, Article = T

Noun Phrase = NP, Verb Phrase = VP

(1) Lyons; John: Chomsky p. 56.
أما السهم (→) فيعني أن العنصر الذي على اليسار يتحول إلى ما هو على اليمين. وهذه طريقة لنسل القاعدة:

1 - S → NP + VP
2 - NP → T + N
3 - VP → Verb + NP
4 - T → the
5 - N → { man, ball, .. }
6 - V → ( hit, took.. )

إذنا نبدأ بالخطوة الأولى، فنطبق القاعدة (1) التي نؤدي إلى:

\[
NP + VP
\]

ثم نفحص هذه النتيجة لنرى هل يحتاج أي عنصر فيها إلى تطبيق هذه القواعد عليها، فنرى أن القاعدتين (2,3) هما اللتان تنطبقان.

وذلك أذنا إذا طبقنا القاعدة (3) فإننا نصل إلى:

\[
NP + Verb + NP
\]

وهنا نستطيع أن نطبق القاعدة (2) مرتين، ثم نتبعها بالقاعدة (5) و (6) لنصل إلى الحملة الآتية مثلا بعد تسع خطوات:

\[
The + man + hit + the + ball
\]

ويصورها تشومسكي برسم آخر على الشكل التالي:
والوهم في كل ذلك أن يتسم النحوي بالوصول إلى العناصر الأساسية المباشرة (IC) في اللغة، والتي عليها نظام تكوين يدرج الخطوات التي يمكن أن (تولد) الجمل النحوية في اللغة (1).

وقد أشار تشومسكي إلى أن هذه الطريقة يمكن «توسيعها» لتكون صالحة «اتوليد» جمل كثيرة، لكنه يلاحظ عند التطبيق أن هناك لغات لا تستطيع هذه الطريقة أن تكون مقياسا لكل الجمل النحوية فيها، ومن ثم يقترح الطريقة الثالثة.

الطريقة الثالثة:

وهي التي صارت عنوانا لهذا المنهج النحوي كله، وهي السّيّ

transformational grammar

تعرف بطريقة النحو التحويلي.

وهذه الطريقة تتصدى إلى تحليل «البنية العميقة» للغة باعتبارها «الجانب

المنطقيّة أو "العقلية" لها، ثم تقصد إلى تحليل "البنية السطحية"، ومن ثم فإنها تحاول أن تصل إلى عامل "الحاسس" عند صاحب اللغة.

(PS) وهي تستخدم الرموز التي جربها في الطريقة الثانية مع شيء قليل من التوسع لتشمل "كل" ما يمكنه أن تولده من الجمل النحوية، والخطوات المستخدمة مع رموزها في الأغلب هي:

1. S → NP + VP
2. VP → Verb + NP
3. NP → { NP sing.
   { NP pl.
4. NP sing. → T + N
5. NP pl. → T + N + s
6. T → the
7. N → { man, ball, door, dog, book...
8. Verb → Aux + V
9. V → { hit, take, bite, eat, walk, open...
10. Aux → Tense (+ M) (+ have + en) + be + ing
11. Tense → { Present
   { Past
12. M → { will, can, may, shall, must

وخلص أن هذه المجموعة تقدم فرصة أوسع للاختيار عن القواعد
the + man + present + may + have + en + open + the door.

The man may have opened the door.

The door may have been opened by the man.

ويمكن تصوير الطريقة التي تُنْتَوَّلْ بها التواعد في "البنية العميقة" ثم تتحول إلى "البنية سطحية" بالرسم التالي (1).

(1) Ibid. pp. 61 - 84.

Lyons, Chomsky, pp. 66 - 82.

وانظر أيضاً 138
John was persuaded by Harry to take up golf.
Reduction: \( a + b \leftarrow c \) 

Expansion: \( a + c \leftarrow b \) 

Replacement: \( a \leftarrow b \) 

Deletion: \( a + b \leftarrow \text{null} \) 

(1)
规矩的增加

\[ addition: a \rightarrow b + a \]

6- قواعد إعادة الترتيب :

\[ permutation: a + b \rightarrow b + a \]

ومهما يكن من أمر فإن المقصد هنا ليس تقديم أمثلة مفصلة لطريقة التحليل النحوي في هذا المنهج، وإنما الغرض هو أن نبرز الأصول التي تنمو عليها، وبخاصة تلك التي ترى ضرورة اهتمام الدرس النحوي بقضية "المعنى" باعتبار اللغة المنطرقة على "السطح" صورة تعكس عمليات عقلية عميقة لا مناص من فهمها لمعرفة الطبيعة "الخلاقة" في اللغة، وحتى يكون النحو مقياساً يشمل "كلاً" الجمل المقبوله نحوياً. ثم إننا معنيون بعد ذلك ببيان الأصول المشتركة بين النحو العربي ومنهج التحويليين، وهو ما نخصص له الفصل التالي.

(1) Bach, An Introduction to Transformational Grammar p. 70.
الفصل الثالث
الجواب التحويلية في النحو العربي

عرضنا في الباب الأول للجواب «الوصيفة» في النحو العربي، ونعرض الآن للجواب «التحويلية» فيه، وهي في الحق أغلب عليه؛ لأن هناك أصولاً مشتركة بين المنهجين، أهمها صدور النحو العربي في معظمها عن أساس «عقلي».

وغني عن البيان أنه لا نريد أن ننسب إلى النحو العربي سبقة إلى هذا المنهج، ولكننا نقصد - كما أشار تشومسكي - أن نؤكد أن ما سمي « بالنحو التقليدي » كان أكثر افتراساً من الطبيعة الإنسانية في دراسته للغة، وأن ما تحتاجه الآن قد يكون في الأغلب - إعادة أصوله على أسس أكثر علمية.

وسوف نعرض هنا عدد من الجواب التي يراها التحويليون أصلية في الدرس النحوي عندهم، وهي التي كان يراها الوصفيون موطن ضعف وجهوا إليه تقدماً على ما بناه. وهذه الجواب هي:

١- قضية الأصلية والفرعية:

شغل نحاة العربية منذ مرحلة النشأة بالبحث في هذه القضية، فقروا أن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع وأن
المذكر اصل للمؤت ... وأن التصغير والتكرير يردان الأشياء إلى أصولها، وهكذا.

وكان الوضعين يرون في ذلك بحثًا ميتأفقياً لا يعتمد على مبدأ علمي سليم. غير أن النهج التحويلي رأى أن قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم البنية العميقية وتحولها إلى بنية السطح. وفي العربية مثلاً لا تستطيع أن ننظر إلى الفعل (قال) على أن أصله (قال) وأن الفعل (باع) أصله (باع) مع وجود (يقول) و (يبيع)، بل علينا أن نعرف (أصل) الألف فيهما، ولا تستطيع أيضاً أن نغض عن أن الطاء في (اصطبر) و (اضطراب) ليست طاء، وإنما أصلها (تاء). وليس من العلم أن يقف الفرد الوظيفي المحسن عند حد وصف الظاهرة كما هي دون أن يجد تفسيراً لها، ومن هذا التفسير البحث عن (الأصل) 

(1)

وقد عرض التحويليون لقضية الأصلية والفرعية في مواضيع مختلفة، منها يبحثون للألفاظ ذات العلاقة marked، وذلك التي بلعلامه، وقرروا أن الألفاظ غير المعلمة هي الأصل وهي أكثر دوراناً في الاستعمال، وأكثر تجراً، ومن ثم أقرب إلى البنية العميقية، فالفعل في الزمن الحاضر في الإنجليزية مثلما غير معلم jumped, loved = (- ed) بينما الماضي تلمع علامة (jump - love) والمفرد غير معلم (boy - book) (s) والجمع تلمع علامة علامة boys - books = (s) والمفرد أصل والجمع فرع:

(1) انظر في هذا العرض القيم الذي قدمه الدكتور داود عيد في كتابه: أبعاد
"In a situation of this kind, the unmarked form is usually more general in sense or occurs in a wider range of contexts than the marked form ... That is to say, the unmarked form has a more general sense, neutral with respect to a certain contrast, its more specific negative sense is derivative and secondary, being a consequence of its contextual opposition with the positive non-neutral form". (1)

ويمثل سبيله: «وإما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن المذكر
لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء،
والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكينا، كما أن النكرة أشد تمكينا من المعرفة، لأن الأشياء إذا تكون نكرة ثم تعرف، فالتذكير قبل وهو أشد تمكينا، فالأول أشد تمكينا عندهم، فالنكرة تعرف بالآلف واللام والإضافة وبيان يكون علمًا، والشيء يختص بالتأنيث
فيخرج من التذكير كما يخرج المنكر إلى المعرفة (2).»

ومن الواضح أن المذكر والنكرة بلا علامة، بينما المؤنث والمعرفة لهمًا علامة.

وأما هو من قضية الأصل والفرع حديثهم عن ظاهرة "القلب
المكاني"، التي نقدها الوصليون أيضاً. وقد عرض لها النحاة القدماء
عرضًا مفصلًا بحثوا في أسبابها، وفي طريق معرفة "الأصل" الذي صدر
 عنه هذا القلب. يقول سبيله في تفسير المقلوب:

"أعلم أن كل ما كان فيه قلب لا يرد إلى الأصل، وذلك لأنه
اسم بني على ذلك كما بني ما ذكرناه على الناء، وكم بني قائل على

أن يبدل من الواقف الهمرة وليس شيئاً بع ما قبله كواو (موقن) وباء (قيل). ولكن الاسم يثبت على القلب في التحقيق كما تثبت الهمرة في (أدرار) إذا حقرت وفي (قائل) وإنا قلبو كراهية الواوه والياء، كما همروا كراهية الواوه والياء فنذ ذلك قول العجاج:

لاش به الأشياء والتعبير.

إذا أراد لا ثبت، ولكنه آخر الواوه وقائمان، وقال طريف بن تيم العبري:

فتعترفوني أنتى أنا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم.

إذا يريد (الشائك) قلب، ومثل (أيق) إنا هو (أنوئ) في الأصل، فأبدلوا الياء مكان الواوه وقلبوها. وكذلك (مطن) إنا هم من (طالبنت) قلبوها الهمرة، ومثل ذلك (القسي) إنا هي في الأصل (القوس) قلبوها كما قلبو (أيق). . . . (1)

metathesis والقبول المكاني يطلق عليه في الدروس الحديث مصطلح bridd ويرون أنه ظاهرة تثبيد في معرفة الأصل؛ فالإنجليزية القديمة قلبت في الحديث إلى run، و برنون إلى bird، ومن هذه الظاهرة في الإنجليزية:

(1) الكتيب 2 / 129
aks — ask 
wap — wasp

aps — asp 
revelant — relevant

prehaps — perhaps 
pertty — pretty

2 - قضية العامل :

لم يكثر حديث عن قضية من قضايا النحو العربي كما كثير عن قضية العامل ، والأغلب أن يتجه رأي الوصفيين خاصة إلى رفض فكرة العامل من أساسها لما تصدر عنه من تصور عقلي ، مع ما جاء في المنهج الوصفي باعتباره « تركيبا » من حديث عسن « الوظائف » 

الطريقة التي تنشأ عند انظام الكلمات في تركيب لغوي معين.

ومهما يكن رأي القدماء في فكرة « العمل » ، أهي للمتكلم نفسه أم هي من « مضامة » الفظ لللفظ ، أو باشمال المعنى على الفظ (1) ، كما يقول أبو الفتح ، فإن « العامل » كان ولا يزال حجر الزاوية في النحو العربي ..

والذي يعني هنا هو أن نلغة في أن التحويليل يقررون أن النحو ينبغي أن يربط « البنية العميقة » بـ « البنية السطح » ، والبنية العميقة تعتمد . Conceptual structures العملية العقلية أو الناحية الإدراكية في اللغة ودراسة هذه البنية تقتضي فهم العلاقات الا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي ، ولكن باعتبارها علاقات للتأثير والتأثير

(1) الخصائص 1 / 110 147
1 - That Martin will fail his linguistic course is likely.

2 - Martin is likely to fail his linguistic course.

For both sentences the proposition Martin...fail his linguistics course is semantically in the scope of likely.

reduction rules

3 – قواعد الحذف :

وعليها ظاهرة مشتركة في اللغات الإنسانية. حين يميل المتحكم إلى حذف العناصر المكررة أو التي يمكن فهمها من السياق، والطريقة التي يقدمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي التي قدمها النحو العربي. مثال: (1)

Richard is as stubborn as our father is.

(our father is) يقول التحويليون إن مأخوذة من بيئة عميقة هي our father is stubborn الصفة المكررة التي هي (stubborn).

(1) Ibid. 109.
Penelope hates to wash dishes.

"Penelope" (in the Arabic is the subject of the sentence), and "wash" (in English is also the object). When washing the object, the subject is "the" object. Compare these two examples.

Penelope hates for David to wash dishes.

1 - I am certain of Dick's loyalty.

2 - I am certain of Dick's being loyal.

3 - I am certain of it.

4 - I am certain that Dick is loyal.

And so the ball is on the drive, to the right of the green, and I have a choice of clubs.
ولا أبل وأبان، ولا يحملهم ذلك على أن يفعلوه بمثله ولم يعمهم
إذا كانوا يتنون فيقولون في مسألة أومر أن يقولوا خذ أوحش ومثله
وكل أوكل، فقدف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم قد بعد
 وهكذا جرى تفسيره لقواعد الحذف في المبتدأ والخبر والمضائف
 وحروف الجرح وغيرها. يقول:

هذا باب يكون المبتدأ فيه مضماراً ويكون المبني عليه مظهرًا.
وذلك أنك رأيت صورة شخص قصار آية ذلك على معرفة الشخص,
فلقت: عبد الله وربي. كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو: هذا عبد
الله. أو سمعت صوتًا فعرفت صاحب الصوت قصار آية ذلك على معرفته
فلقت: زيد وربي، أو: ربي أو: شمس ريحًا قلت: زيد،
أو المركل، أو: ذرت طعما قلت العسل، ولا نزال ذكر
شاهد الكتاب في حذف الخبر للتكرار.

نحن بما وردنا وأنت بما عنك رأرض والرأي مختلف
ويقول في حذف حرف الخبر قبل (أن) المصدرية:

واعلم أن اللام واحدها من حروف الخبر قد تحذف من (أن)
كما حذف من (آن) جعلوها بمتزلة المصدر حين قلت: فعلت ذلك
حذف الشر، أي حذف الشر ويعتبر مجزوراً على التفسير الآخر. ومثل

(1) الكتاب 1 / 134
(2) 279 / 1
(3) 28 / 1
ذلك قولك: إنما اقطع إليك أن تكرمه، أي لأن تكرم،،،، ومثل ذلك قولك: لا تفعل كذا وكذا أن يصيبك أمر تكرهه، كأنه قال لأن يصيبك أو من أجل أن يصيبك. (1)

وهكذا تجد شرحاً مستفيضاً لكل ما رأوه من حذف في العربية، ويكد يوحي كلامهم بشيء قريب من فكرة "البنية العميقة" عند التحويليين.

**insertion rules**

ويشير التحويليون إلى أن هناك تركيبات نظيفة تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق، وإنما تفيد وظيفة تركيبية، وقد تعد لوناً من ألوان الزخارف **trappings**، ويمثلون لذلك بكلمات من نحو **it**، **there**، في:

1. **There is a hippopotamus in that cornfield.**
2. **There are many people out of work.**

كلمة **there** لا تقدم دلالة في العمق هنا، وإنما هي فاعل (سطحي) للفعل الموجود في الجملة، أي أنها نوع من الزيادة، ومن ثم فإن التركيب في الحالتين هو:

1. **A hippopotamus is in that cornfield.**
2. **Many people are out of work.**

وإذ الملاحظ استخدام كلمة **it** في نحو
1 - It is raining.

2 - It is Penelope that took my book.

(1) Langacker, Language and its Structure, p. 132.
بعدد عن حاله التي كان عليها قبل أن يذكر ويذكر. وذكر النص: "حسب جيداً هو خيرًا منك. وكان عبد الله هو الضرير، قال: الله عز وجل (ويرى الذين أتوه العلم الذي آنزل إليك من ربك هو الحق). فصارت (هو) هنا وأخواتها بمنزلة ما إذا كانت لغواوي أنلاتغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر. «(1)

وهكذا في كل المواضع التي عرض فيها للزيادة تجده بقع على أن الزائد لا يدل على معنى، كأنه يشير إلى البنية العميقية في الكلام.

5 - قواعد إعادة الترتيب:

وفي من الخصائص الكلية المهمة في اللغات الإنسانية، ذلك أن لكل لغة ترتيبها الخاص، ولكن المهم هو أن يعرف الترتيب في البنية العميقية أولاً ثم نبحث عن القواعد التي تحكم تحول هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح، ومن الملاحظ أن كـ " عنصر " الحملة معرضة لتغيير مكانها وإن كان ذلك أكثر ما يكون في لغة العربية " فضيلة " كالمناعيل والخال والظروف وغير ذلك.

A detective hunted down the killer.

هذا هو ترتيب الحملة في بنيتها العميقية، يمكن أن تتّحول

1) Langacker, Language and its structure, p. 133.
بالترتيب نفسه إلى بني النطق، ويمكن أن يتغير الترتيب بنقل كلمة

التصير:

A detective hunted the killer down.

والفروع أن العرب القدماء قد عنوا بهذه الظاهرة عناية بالغة، وأخذوا
يحكمون القوانين التي تنظمها، فبحثوا قضية «التقدم والتأخير»
وتأثيرة على تركيب الجملة من حيث الأعمال أو الإلغاء. ومن
حيث التغيير الدلالي، ونحن نذكر حدوثه عن وجود تقدم الخبر،
وعن وجود تقدم المبدأ، وعن جواز الأمرين. ونذكر تحليلهم
(التتمير) فيما يشبه الإشارة إلى البنية العميقة حين يعيدون التمبير إلى
الفاعل في (واشتعل الرأس شبا)، أو إلى المعقول في (وفحرنا الأرض
عيونا)، وأخذت القضية بعد ذلك حظاً وافراً في الدرس البلاغي.
على أننا نجد عند سبيله حديثاً مبكراً عن تأثير الترتيب في شكل الجملة
من ناحية وفي معناها من ناحية أخرى، يقول مثلاً:

وتقول: ما كان فيها أحد خير منك، وما كان أحد مثلك فيها
وليس أحد فيها خير منك، إذا جعلت فيهما) مستقرًا ولم تجعله على
قولك فيها زيد قائم، أجرت الصنة على الأسم، فإن جعلته على قولك
فيها زيد قائم، نصبت: تقول: ما كان فيها أحد خيرا منك، وما
كان أحد خيرا منك فيها، إذا أردت إذا أردت إلا، فكلما أحسنت
الذي تلغي كان أحسن، وإذا أردت أن يكون مستقراً تكتني به، فكلما
قدمت كان أحسن. لأنه إذا كان عاملا في شيء قدمته كما تقدمت أظن
أحبب: وإذا ألغيت أخرته كما تؤخرها لأنه ليسا يعملاان شيئاً والتقديم
هنا وتأخير فيما يكون ضرفاً أو يكون اسماً في العبادة والاهتمام
مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمعنى وجميع ما ذكرت لك

155
من التقدم والتأخير والإلغاء والاستقرار العربي جيد كثير، فمن ذلك قوله عزوجل (ولم يكن له كفوا أحد) وأهل الجفاء من العرب يقولون ولم يكن كفوا له أحد، كأنهم أخبروها حيث كانت غير مستقر. (1)

ومن المعروف أن الوصفين نفادوا النحو العربي بأنه «معياري».

على أن هذه «المعيارية» إذا فهمت في سياق «القبول النحوي» فإنها تشكل أساساً مهماً في النهج، وتقدم أصلاً مشتركاً آخر مع النحو النحوي، وقد كان ذلك في الحق مقصداً من مقاصد نحاة العربية حين يتحدثون بما عن الراجح والمؤثر والمصنع، ولا زلنا نذكر إشارة سيوبي في أول كتابه عن الاستقامة من السكاليم والإقالة حين يقول:

«فمه مستقيم حسن، وغالب، ومستقيم كاذب، ومستقيم قبيح، وما هو غالب كاذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمس، وسأتك غداً، وأما المكان فإن تنقض أول كلامك بآخركه فقولك: أتيتُك غداً، وسأتك أمس، وأما المستقيم الكاذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، وحوه وأما المستقيم القبيح فإن تضع النظف في غير موضعه نحو قوله: قد زيداً رأيت، وكبي زيد، يأتيك، وأشباه ذلك، وأما المكان الكاذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس (3)».

ولكن الملاحظ أيضاً أن النحو العربي قدم تركيبات كثيرة غير مقبولة محوياً ungrammatical. وذلك في مثل حديثهم في التنزاع.

(1) الكتاب 1/ 27
(2) الكتاب 81

156
من ناحية قولهم: "ظنت منطلقنا وظنتني منطلقًا هنذ إياها" أو «أعلمته» وأعلمت إياها زيد عمرا قاما.» أو «أعلمته وأعلمت زيدا عمرا قائما إياها» أو «أعلمته وأعلمت زيدا عمرا إياها قائما إياها».

وبعده، فقد أعلم الخواجة التي تنقل نحو النحو العربي من المهندس التحويلي في العمر الحديث، ومن الواضح أن «الأصل العقلي» فيهما كان حقيقة أن ينسب إلى هذا النحى، ومن الواضح أيضا أن ما سمي افتراضات أو تقديرات نحوية يمكن أن يفهم في سياق نظرية عامة تستهدف فهم طبيعة اللغة باعتبارها قدرة إنسانية، ومن ثم كان النظر في «المعنى» مما ما تم عند النظر في «الأشكال والطرق الكبيرة»، ولعلي أضيف هنا أن اتخاذ بعض العرب إلى القول "بالتوقيف" في اللغة لم يكن مبنيا على اعتبارات دينية فحسب، وإنما كان من تأملهم حسام اللغة والعباءاتهم بدقة نظامها وتعقيد تركيبها بحيث غلب على ظنهم أن دقة النظام لا تكون من صنع الإنسان، وفي ذلك يقول ابن جني: "وعلم فيما بعده... ينتمي على تمدّى الوقت دام، تتفاوت والبحث عن هذا الموضوع فاجد الدواعي واخبار قوية النجاح في مختلطة جهات التغول على فكري، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة النضيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاق، وازدة ما يملك على جانب الفكر، حتى يكاد يضمح به أمام غلوة السحر.

(1) الشميس، شرح الشمسي على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد مصطفى عبد الحميد، دار الكتب المتنبي 1960، 457 = 1057
فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت بتابع وانقياده، وبعد مراميه وأمامه، صحة وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق هم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله جل وعليم، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توثيقاً من الله سبحانه. وأنا وحي. (1)

وكل ذلك ضروري في فهم المنهج عند العرب، وهو أيضاً ضروري في التحرك نحو منهج علمي لدراسة العربية.

(1) اختصاص 1 / 41

108
هاتمة

وبعد، فلقد يكون مفيداً أن نركز الآن على النتائج التالية:

1. إن النحو العربي كان صورة صحيحة للمناخ الفكري العام في الحياة الإسلامية، وخاصة في مراحل النشأة. وأن هذا المناخ قد زوده بالاتجاه «التقليدي» الذي أفضى إلى منهج «وصفي» واضح، وزوده أيضاً بالاتجاه «العقلاني» الذي أدى به إلى عدم الوقوف عند الوصف المحسّن، وإما تدأبه إلى تفسير ظواهر العربية تفسيراً عقلياً. والذي لا شك فيه أن النحو العربي - بامتلاكه هذين الاتجاهين - استطاع أن يثبت صلاحية لا تنكر في فهم طبيعة العربية.

2. من الخطا شديد أن نتصور أن العرب كانوا يعيشون في عزلة محكمة، وأنهم أنشأوا من العلوم ما أنموذجوا بهدف دخلياً بحتاً، ويرقداهم هم وحدهم، ومن الخطأ الشديد أيضاً أن نتصور أن العرب كانوا «نقلاً» ليس لهم من فضل إلا نقل ما اتصلوا به من علوم الأوائل. ولكن الصواب أن النشاط العلمي عند العرب لا ينقيض أن يدرس في إطار «الأصالة» أو «التقليد» وإنما يدرس في إطار التملك الذي يعني أن هؤلاء الناس قد بدأوا حركّة علمية، واتصلوا بما كان قبلهم، وتملكوه، وتصوفوا فيه تصرفًا جديداً. ومن هذا
الوادي ما عرضنا له من قضية « النحو العربي وأرسطو » مما نرجو أن يكون قد أعان على عرضها في إطارها الصحيح.

3- تعرض النحو العربي لنقد عنيف بعد أن اتصلنا بعلم اللغة الحديث في منهجه الوصفي، لكن هذا النقد أفاد في تعريف الباحثين بقضايا مهمة في البحث اللغوي المعاصر، وفي الدعوة إلى تطبيق مبادئ العلم في دراسة ظواهر اللغة. على أن ذلك كله يثبت أن « التعلج في الحكم على النحو العربي وخصوصاً في تاريخه الطويل » يؤدى إلى أحكام غير صحيحة. ونرجو أن يكون قد وضح أن كثيراً مس النجاحات التي كانت موضع نقدها عادت الآن ليكون أسساً ضرورية في البحث النحوي الحديث على ما رأينا عند التحوليين.

4- إن أهم ما في النحو العربي أنه نحو شامل، يدرس الصوت، والنظام، والدلالة، وهو بذلك يصل اللغة بالفكر، ويعالج الشكل والمعنى. وهذه الخصائص هي التي يهدف إليها التطور الحديث في دراسة اللغة، لكن ذلك كله لا ينفي أن النحو العربي نح تقليدي، يميز بما تميزه به الأشكال التقليدية في كثير من اللغات.

5- إن الدعوة إلى رفض مناهج اللغوية الحديثة دعوة غير صحيحة، بل هي دعوة غير إنسانية، ولا أشيك حكمة في أنها ضارة بالعربية نفسها ومسن الضروري أن نفيد مما يطوره الناس. وأن نشارك نحن في هذا التطور. ولا أشيك حكمة أيضاً في أن المناهج الحديثة - مع إدراكنا أصول النحو العربي - تقوم فيما أفضل للعربية.

6- إن الدعوة إلى « استقلال » علم اللغة، و « شكريته » أنها عجزها عن فهم صحيحاً اللغة فيما صحيحاً. ولا مناص من الاعتراف
بشرة الاستعانة بعدد من العلوم استعانة أساسية، وخاصة علم النفس والرياضسة والفلسفة وال النقد الأدبي. ولقد يكون مفيداً أن نؤكد مرة أخرى أن كبار اللغويين كنوا يصدرون عن تأثير علماء من ميادين أخرى، تأثر د. سوير بدور كايام، وتأثر سابير بفرانس بوعزر، وتأثر بلومفيلد بالمسلميين، وتأثر تشومسكي بديكارت والعقلية. وهذه الظاهرة كافية في الدلالة على صحة الاتجاه العربي القديم حين اتصل بالفقه والكلام والمنطق وعلوم العصر على العموم.

٧— إن البحث في "المنهج" يقتضي علماء العربية خاصةً أن يبحثوا أيضًا عن "منهج"، والذي لا شك فيه عندي أن ذلك يقتضي حركة نشطة في دراسة "التراث" النحوي دراسة علمية صحيحة، وفي ملاحظة التطور الحديث في الدرس اللغوي والمشاركة فيه. والتحور العربي القديم بما يقوم عليه من أسس لغوية وإنسانية صحيحة صالحة أن يمدنا الآن بأصول المنهج الذي نتبغيه.
المصادر العربية:

1- إبراهيم بومي مدرkus:
في اللغة والأدب، دار المعارف (سلسلة أقرأ) العدد 337، سنة 1971

2- أحمد محمود صبحي:
في علم الكلام، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية 1976

3- أحمد مختار عمر:
البحث اللغوي عند الفنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة بيروت 1972

4- أرسطو:
كتاب أرسطو طاليس في الشعر، نقل أبي بشر متن، ابن يونس التنائي من السرياني إلى العربي، حققه مع
ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره فيبلاغة العربية
الدكتور شكري محمد عياد - دار الكتاب العربي
بالقاهرة 1967

5 – الأشموئي:
شرح الأشموئي على ألقاب ابن مالك - تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد - دار الكتاب اللبناني 1955

6 – ابن الأنباري:
الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد - مطبعة الاستمتاع بالقاهرة 1945

7 – الباقلاني:
إجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر - دار
المعارف

8 – بروكلمان:
تاريخ الأدب العربي، ترجمة الدكتور عبد الحليم
النجار دار المعارف بمصر 1968

9 – تمام حسان:
مناهج البحث في اللغة، القاهرة 1955

10 – الجاحظ:
البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون،
القاهرة 1948
11 - ابن الجوزي:
النشر في القراءات العشر، المكتبة التجارية

12 - ابن جئي:
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية 1952 - 1957

- صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين مطبعة مصطفى الباني الحلي بالقاهرة 1954

- المنصف في شرح التصريف لأبي غسان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الباني الحلي بالقاهرة 1954

13 - حسن عون:
- اللغو والنحو، الإسكندرية 1952

14 - أبو حيان التوحيدي:
- المقابضات، تحقيق السندوي، المكتبة التجارية بالقاهرة 1948

15 - ابن خلدون:
- المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وآخري القاهرة 1962

165
- أبحاث في اللغة العربية – مكتبة لبنان 1973

- الإيضاح في علل النحو – تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس بيروت 1972

- ابن السراج:
  - أصول النحو، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، بغداد 1974
  - الموجز في النحو، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي، بيروت 1965

- سبويه:
  - الكتب، المطبعة الأميرية بيولاقي 1316 – 1317 هـ

- السيوطي:
  - الإفتتاح في علوم القرآن، مطبعة حجازي بالقاهرة 1968
  - الاقتراح في أصول النحو، تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة بالقاهرة 1972
  - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد جاد الملوي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة 1958

166
21 - شروتى ضيف :
- البلاطة تطور وتاريخ، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثالثة 1976

22 - صاعد الأندلسى :
- طبقات الأمم، مطبعة السعادة بالقاهرة

23 - عبد الخيار (الفاضل) :
- إعجاز القرآن، أجزاء 16 من المغني، تحقيق أمين الحولي، وزارة الثقافة

24 - عبد الرحمن بدوي :
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1948
- منطق أرسطو، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1948

25 - عبده الراجحي :
- فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت 1972
- النهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف، بمصر 1968

27 - علي أبو المكارم :
- تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت
28 - علي سامي النشار:
مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، دار المعارف
1971

29 - ابن فارس:
- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامه،
تحقيق الدكتور مصطفى الشريمي - مؤسسة بدران
بيروت 1963

30 - المبرد:
-ังضب ، تحقيق محمد عبداللهالخالق عضوة المجلس
الآعلى للشئون الإسلامية 1968 - 1968

31 - ابن ماجد:
- كتاب السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور شوقي
ضيف دار المعارف بمصر 1972

32 - عمود فهمي زيدان:
- المنطقة الرمزى، نشأته وتطوره، دار النهضة
العربية بيروت 1973

33 - ابن المديم:
- النهرست، المكتبة التجارية.

34 - ابن هشام:
- شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد، المكتبة التجارية 1960

35 - ابن يعيش:
- شرح المفصل، المطبعة المصرية بالقاهرة

88
المصادر الأوروبية:


4. Chomsky, Noam:
   - Syntactic structures, Mouton and Co. The Hague, 1957


12 - Langacker, Ronald :


13 - Lyons, John :


16 - Sapir, Edward :


الفهرس

5 - 7
9 - 20
21 - 107
22 - 43
45 - 61
64 - 107
109 - 160
111 - 28
129 - 143
145 - 160
161 - 163
165 - 175
172